النبي ﷺ زوجا

الدكتور / محمد كمال كامل

دار الآفاق العربية

محمد ، محمد كمال كامل
1466-1386
النبى زوجا
ط 1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية 2014
80 ص ، 24 سم

1- محمد رسول الله ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
بن هاشم ، 571 -633
2- السيرة النبوية
أ. العنوان 239

تدمك : 978-977-344-320-7
رقم الإيداع : 27259/ 2014
الطبعة الأولى
2015/1436 م

نشر - توزيع - طباعة
55 شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : 22617339 -00202 تليفاكس : 22610164-00202
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com

دار الآفاق العربية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }
صدق الله العظيم

الإهداء

إلى كل مسلم حريص على إعتزاز دين الله و نصرته أهدي هذا الكتاب سائلا المولى - عز و جل - بأسمائه الحسنى و صفاته العلا أن يكون خالصا لوجهه الكريم.

فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ (الكهف : ١١١)

تمهيد

حفلت حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، بجوانب إشراقية كثيرة ، فرغم إنشغاله صلى الله عليه وسلم بنشر الدعوة والحروب والغزوات التي خاضها طيلة حياته ، ورغم العبء الكبير الذي كان ملقي علي كاهله في تبليغ الدعوة الإسلامية، وتعليم الناس أمور دينهم ، إلا أنه لم يهمل بيته مطلقا ، بل قدم لنا صلى الله عليه وسلم مثالًا نموذجيًا للبيت السعيد ، الذي يعد نبراسًا لكل أسرة مسلمة ، يستمد منه المواعظ والعبر والدروس التي تفيد كل مسلم يريد بناء أسرة على أسس قويمة ، فرغم هذا الخضم الكبير من الأحداث التي كانت تحيط برسول الله ، إلا أنه كان زوجًا سعيدًا يجيد الفصل بين همومه وحياته في بيته ، التي هي سكن له ، فكانت لا تؤثر عليه الأحداث العظام ، فيتمعر وجهه أمام زوجاته بل كان دائم البشر في وجوههن ، وكانه لا يحمل همًا ، وكأنه يعيش لهن فقط ، هذا ما شعر به أمهات المؤمنين في حياتهن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

*وصيته صلى الله عليه وسلم بالنساء

أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ببناء بيوتهم على أساس من الود والرحمة ، فأوصى الرجال بالنساء خيرًا ، فكفى بهن شرفًا أنهن كن آخر وصية أوصاها رسول الله للمسلمين قبل وفاته ، ففي الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده عَنْ سَفِينَةَ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ كَانَ مِنْ آخِرِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَجْلِجُهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ (1) .

وفي حجة الوداع قال صلى الله عليه وسلم " استوصوابالنساء خيرًا فإنهن عندكم عوان ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، إن لكم من نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا ، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن . (2)

فحدد صلى الله عليه وسلم في خطابه هذا ، الحقوق والواجبات لكل من الزوج والزوجة ، كي يعرف كل طرف منهم ماله وما عليه ، فللزوج على زوجته أن لا تُدْخِل بيته من يكرهه، وهذا ما يقع فيه كثير من النساء ، وقد يكون سببًا جوهريًا من أسباب طلاق الزوجات ، فالزوجة قد تُدْخِل بيتها رجالا ونساء ليس لهم حق الدخول إلى البيت ، بحجة أنهم من أقاربها ، فلابد أن لا تدخل المرأة بيتها أحد من غير إذن زوجها ، ولا يوطئ أحد فرشها في غياب زوجها، أي تحفظه وترعاه في عرضه وماله، وللزوجة على زوجها حقوق، فلابد أن يعاشرها بالمعروف، ويعاملها معاملة حسنة، ويطعمها مما

---

(1) مسند أحمد ، 26483.

(2). سنن الترمذي : باب حق المرأة على زوجها ،1163.

يطعم ويكسوها إذا إكتسى ، فإذا فعل كل طرف منهم ما عليه من واجبات تجاه الطرف الآخر استقام لهم الأمر وعاشوا دون كدر أو نصب .

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قال « ألا كلكمْ راعٍ وكلكُم مسئُولٌ عن رعيَّته فالأمير الَّذِى عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِىَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ». [1]

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يحدد في هذا الحديث لكل واحد مسئولياته تجاه من يعول ومن يرعاه ، فأخبر بأن الزوج ليس عليه فقط رعاية زوجته وأولاده، من أجل الرعاية والعشرة فقط، بل إنه سيسأل عنهم أمام الله، وكذلك الزوجة ستسأل عن رعايتها لزوجهاوأولادها، فالأمر جد جلل لمن يعي هذا فلو علم كل إنسان أنه مسئول أمام الله لاجتهد في رعاية من هو مسئول عنهم.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يتفهم طبيعة المرأة، ويعلم مشاعرها، ويعلم كنهها ويعلم أن لكل امرأة ولو كملت درجة من الإعوجاج، ولابد أن يعي الرجل هذه النقطة ففي الحديث الذي أخرجه البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا . [2]

(1) صحيح مسلم : باب فضيلة الإمام العادل، 4828 .

(2) صحيح البخاري: باب الوصية بالنساء ، 3153.

وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم " إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها . [1]

فالنبي صلى الله عليه وسلم يوصي أمته بأن النساء مهما بلغت من كمال فقد تجد فيها عوجا، فلابد للرجال من التعايش مع هذا العوج، فإن أردت حياة سعيدة جميلة مع زوجتك فاستمتع بها وتقبلها على ما فيها من عيب، وانظر دائما إلى جوانب الإيجاب في زوجتك، ولا تسلط دائما الضوء على ما فيها من سلبيات، فإذا حدث وفعلت ذلك رأيتها في أسوء حال، لأنك لا ترى منها إلا كل قبيح، أما إذا نبذ المرء فكرته السيئة عن زوجته، ونظر إلى جوانب الإيجاب فيها، أراح نفسه وعاش حياة سعيدة .

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه، كان يعي تمامًا هذه النقطة، لكن كان دائما ما يتعامل معها بحكمة وروية، وينظر إلى الجانب الإيجابي منها، وقد يطلق تبريرات لموقفها بإنها ما فعلت ذلك إلا لأنها تحبه، أو تغار عليه أو أنها تتدلل عليه وغير ذلك.

وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ظلم الزوج لزوجته يعد من الكبائر، ففي الحديث الذي أخرجه الألباني في صحيحه عن ابن عمر قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها، ورجل استعمل رجلا فذهب بأجرته ،وآخر يقتل دابة عبثا[2]

فهو هنا صلى الله عليه وسلم يحذر من يجور على نساء المسلمين ، فيتزوجهن ويتمتع بهن حتى إذا ما أخذ ما يريده منها طلقها وجار علي حقها ، فعد هذا من أكبر الكبائر، ونراه صلى الله عليه وسلم يشير إلى أهل الكتاب في ترابط الزوج بزوجته طيلة حياته، رغم ما قد يكون فيها من العيوب فيقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه المقداد بن معدي كرب، أن رسول الله قام في الناس فحمد الله وأثني عليه ثم قال :

(1) الألباني : ص349.

(2) السلسلة الصحيحة للألباني : ص 347.

إن الله يوصيكم بالنساء خيرا، فإنهن أمهاتكم وبناتكم وخالاتكم ،إن الرجل من أهل الكتاب يتزوج المرأة وما يعلق يداها الخيط، فما يرغب واحد منهما عن صاحبه حتى يموت هرما . (1)

وشدد رسول الله على حق المرأة وبعدم الجور عليها، وشبه حقها كأكل مال اليتيم، فقال صلى الله عليه وسلم : في الحديث الذي أخرجه الألباني في صحيحه " إني أُحَرِجُ حق الضعيفين اليتيم والمرأة " . (2)

بل وصف الله صفة الخيرية بالرجال الذين هم أنفع لأهلهم ولذويهم، فقال صلى الله عليه وسلم : " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي " (3)

ودعا رسول الله إلى النصح والسعي في الإصلاح بين الأزواج، وأن لا يتدخل بين الزوج والزوجة إلا الحكماء ، ومن يريد الخير لهم، لا من يريد أن يهدم بيتا أو يشرد أسرة، فتنهدم الأسرة التي هي نواة المجتمع، والتي بها ينصلح حاله، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة وصححه الألباني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من خبَّب خادما على أهله فليس منا ، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا " (4)

وفي نفس الإطار أوصى صلى الله عليه وسلم النساء بحسن معاملة الأزواج،كي تكتمل الصورة وتعم المنفعة، ويشيع الود والمحبة والدفء جو الأسرة، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة قال : قيل لرسول الله أي النساء خير ؟ قال : التي تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره . (5)

(1)نفس المصدر والصفحة.

(2)نفس المصدر : ص350.

(3)المصدر السابق : ص353. سنن الترمذي ، 3895.

(4)السلسلة الصحيحة للألباني: ، ص 357.

(5) نفس المصدر ،ص 346.

وهذه وصية جليلة للزوجة التي تريد حياة هادئة مع زوجها ، بأنها لابد أن تسره إذا نظر إليها ، وصية للمراة بأن تكون دائما جميلة في نظر زوجها ، فلا تأخذها مشاغل الحياة والعمل والأولاد عن رعاية زوجها والتزين له ، وهذا الأمر في الحقيقة يشكو منه أغلب الأزواج ، ففي السنوات الأولى للزواج،تجد المرأة تتجمل لزوجها ، فيشيع الدفء والحب في المنزل ، حتى إذا ما أنجبت وانشغلت بأولادها أهملت زوجها ، فتظهر وتطفوا المشاكل على السطح ، وتذهب زهوة الحياة التي كانوا ينعمون بها ، فتتفاقم المشاكل التي قد تؤدي في النهاية إلى الطلاق.

ومن الأشياء التي أوصى رسول الله بها الزوجات أن تطيعه إذا أمرها ، حتى ولو كانت مشغولة بأعمالها وبأولادها ، فللزوج عليها حق كبير ، وأيضا أن تحفظه في ماله وعرضه ، فتصونه من الضياع وتبعد عن السرف والترف ، وتعيش معيشة زوجها ، ولا تتكلف في ذلك ، حتى ولو كانت معيشة زوجها أقل من معيشتها في بيت أهلها ، وذلك لكي يشعر الزوج بالرضا ، وأنه ليس مقصرا في حقها ، فنساء رسول الله كان منهم الأغنياء ، ومن ذوي الحسب والجاه في قومهم، إلا أنهم عندما انتقلوا إلى بيت رسول الله ، خيرهم النبي بين العيش مع أهلهم في نعمة ورخاء ، وبين أن يرضون بمعيشة رسول الله الضيقة الفقيرة ، فاختاروا وفضلوا معيشة زوجهم ، وهكذا على الزوجة أن تقنع بحياة زوجها مهما كانت ضيقة ، لكي يستقيم لهم الأمر ويعيشون في رضى وسعادة .

كما أوصى رسول الله الزوجة بأن تكون للزوج كما يريد الله ورسوله ، فهو مفتاح سعادتها في الدنيا والأخرة ، فعن حصين بن محصن عن عمة له يقال لها أسماء ، أنها دخلت على رسول الله لبعض حاجتها ، فقضى النبي صلى الله عليه وسلم حاجتها: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم " أذات أزواج أنت ؟ قالت: نعم ، قال كيف

أنت له ؟ قالت ما آلوه إلا ما عجزت عنه ، فقال رسول الله ، انظري أين أنت منه فإنه جنتك ونارك . (1)

وفي الحديث الذي رواه معاذ بن جبل ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين ، لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا "(2)

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزوجة بأن لا تتنكر لمعروف زوجها ، وأن تشكره ولو على القليل ، ولا تحقر من أن أي شيء يأتي به ولو لم يكن على هواها ، فهذا الصنيع يحبط الرجل ويجعله يتخذ منها موقفا ، أما إذا شكرت له صنائعه ، شعر الزوج بالسعادة لأنه استطاع ولو بالقليل التعبير عن حبه لها ، فعلى سبيل المثال : لو جلب لها يوما ثوبا ولم يعجبها لونه ، فيجب عليها أن تتظاهر بأنه يعجبها حتى ترضيه ، ولو لم ترتديه بعد ذلك ، هذا الأمر من شأنه أن يضفي جوا من السعادة والوئام في الأسرة ، ففي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاينظر الله إلي امرأة لا تشكر لزوجها وهي لاتستغني عنه "(3)

وهكذا رسم صلى الله عليه وسلم الطريق أمام الأزواج والزوجات وحدد لكل منهم واجباته وحقوقه التي إن التزم بها كل منهم ، شاع في الأسرة جو من السعادة والود ، الأمر الذي نفتقده في بيوتنا اليوم ، فعلى كل مسلم ومسلمة الالتزام بما أمر به الشارع الحكيم ، وما أمر به رسوله الكريم ، ففي تعاليم الإسلام وتوجيهاته ، وسيرة نبيه الكريم ، النفع العظيم لكل من نهج نهجه صلى الله عليه وسلم، نفعنا الله والمسلمين جميعا بسنة رسوله الكريم ، وأنعم الله على بيوت المسلمين بالمحبة والود والوفاق.

(1)السلسلة الصحيحة للألباني: ص 350. وسنن البيهقي : باب ما جاء في عظم حق الزوج على المرأة ،ج7،ص298.

(2)السلسلة الصحيحة للألباني: ص 361.

(3)السلسلة الصحيحة للألباني: ص 362.

تراجم زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

1- السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

هي أم القاسم بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشية الأسدية، أم أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من آمن به وصدقه، وهي ممن كمل من النساء كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة بشرها النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وكان صلى الله عليه وسلم يثني عليها، ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها ،ومن كرامتها عليه صلى الله عليه وسلم، أنه لم يتزوج امرأة قبلها، ولم يتزوج عليها قط، وكانت تنفق عليه من مالها، ويتجر هو لها، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب، وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة، وأمها هي فاطمة بنت زائدة العامرية، وكانت قبل رسول الله تحت أبي هالة بن زرارة التميمي، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ثم بعده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبنى بها وله خمس وعشرون سنة، وكانت أسن منه بخمس عشرة عامًا، وأولاده منه القاسم والطيب والطاهر ماتوا جميعا صغارا، ورقية وزينت وأم كلثوم وفاطمة أدركوا جميعا الإسلام وأسلموا، وتوفيت السيدة خديجة في رمضان، ودفنت بالحجون عن عمر يناهز خمسة وستين عامًا، بعد خمسة وعشرون عاما قضتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. (1)

2- السيدة سودة بنت زمعة

سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو ابن عبد شمس، مات عنها مسلما بعد رجوعه وإياها من أرض الحبشة إلى مكة رضى الله عنها(2). وكانت سودة امرأة ثقيلة ثبطة و هي التي و هبت يومها لعائشة وقالت :

(1) . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج2، ص 111، 112

(2) . السيرة النبوية لابن كثير: ج4، ص584.

لا أريد ما تريد النساء (1). فصالحته على أن وهبت يومها لعائشة و قيل : له ، فجعله لعائشة . و فيها نزل قوله تعالى : " وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا " الآية . و توفيت في آخر أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . (2)

3- السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق

هي بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية التيمية المكية ، أم المؤمنين أفقه نساء الأمة على الإطلاق ، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة الكنانية ، هاجر بعائشة أبواها وتزوجها رسول الله قبل الهجرة ودخل عليها في شوال سنة اثنين من الهجرة ببضعة عشر شهرا بعد منصرفه من غزوة بدر .

وكانت أحب نساء الرسول إلى قلبه ، روى عنها الكثير من الصحابة ، ومسندها يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث ، أتفق لها البخاري ومسلم على مئة وأربعين وسبعين حديثا انفرد البخاري منهم بأربعة وخمسين ، وانفرد مسلم بتسعة وستين .

وهي رضي الله عنها ممن ولد في الإسلام ، وهي أصغر من فاطمة رضي الله عنها بثماني سنوات ، وكانت امرأة بيضاء جميلة ، ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يقول لها ياحميراء ، ولم يتزوج بكرا غيرها ، بقيت عنده تسعة سنوات ومات عنها وهي ابنة

(1) . السيرة النبوية لابن حبان: ج1، ص69.

(2) . الفصول في سيرة الرسول، ج1، 104.

ثماني عشرة ، وتوفيت رضي الله عنها سنة ثماني وخمسين من الهجرة ، وقد قاربت السبعين وأوصت أن تدفن في البقيع . (1)

4- السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب

بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذافة السهمي ، أحد المهاجرين في سنة ثلاث من الهجرة ، كان مولدها قبل المبعث بخمس سنوات فعلى هذا يكون دخول النبي بها ولها نحو من عشرين سنة ، لما تأيمت عرضها أبوها على أبي بكر الصديق فلم يجبه بشيء ، وعرضها على عثمان فقال : بدا لي ألا أتزوج اليوم فوجد عليهما وانكسر ، وشكا حاله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة ، ثم خطبها فزوجه عمر وزوج رسول الله عثمان من ابنته رقية بعد وفاة أختها ، ولما زوجها عمر لقيه أبو بكر فاعتذر وقال : لا تجد علي فإن رسول الله كان قد ذكر حفصة ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ، ولو تركها لتزوجتها ، وأراد رسول الله يوما أن يطلق حفصة فجاءه جبريل عليه السلام فقال : لا تطلقها فإنها صوامة قوامة ، وإنها زوجتك في الجنة ، وتوفيت حفصة على الأرجح عام خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة . (2)

5- السيدة أم سلمة رضي الله عنها

واسمها هند بنت أبي أمية ، ويقال له زاد الركب بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكانت قبل رسول الله عند أبي سلمة بن عبد الأسد ، فهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعا،ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة فتزوجها رسول الله

(1) . الذهبي : السابق ، ج2، ص141، ابن الجوزي : تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ، القاهرة ، ص29.

(2) . الذهبي : السابق ، ج2، ص229. ابن الجوزي : المنتظم ، ج3، ص 60.

وهي بنت عم خالد بن الوليد سيف الله ، وبنت عم أبي جهل بن هشام ، وأبي سلمة هو أخو النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، دخل بها في العام الرابع من الهجرة ، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبا .

وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين ، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين بن علي ، فوجمت وغشي عليها ، ولم تلبث إلا قليلا وانتقلت إلى الرفيق الأعلى ، روي أنه لما انقضت عدتها أرسل إليها أبو بكر يخطبها ،فأبت ثم أرسل إليها عمر بن الخطاب يخطبها فأبت ، ثم أرسل إليها رسول الله يخطبها فقالت : مرحبا برسول الله إن في خلالا ثلاثا ، فأنا امرأة شديدة الغيرة ، وانا امرأة مصبية ، وأنا امرأة ليس لي ها هنا أحد من أوليائي فيزوجني ، فقال لها رسول الله أما ما ذكرتي من غيرتك فإني أدعوا الله أن يذهبها عنك ، وأما ما ذكرتي من صبيتك فإن الله عز وجل سيكفيكهم ، وأما ما ذكرتي من أنه ليس من أوليائك أحد شاهد ، فليس من أوليائك أحد شاهد ولا غائب يكرهني ، وقال لابنها : زوج رسول الله فزوجه ، فقال رسول الله: أما إني لم انقصك بما أعطيت فلانة ، وتوفيت أم سلمة سنة اثنتين وستين، ودفنت بالبقيع وهي ابنة أربع وثمانين سنة . (1)

6- السيدة أم حبيبة رضي الله عنها

واسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب ،كانت عند عبيد الله بن جحش وهاجر بها إلى الحبشة في الهجرة الثانية ، ثم ارتد عن الإسلام وتنصر ، ومات هنالك وثبتت أم حبيبة على دينها ، فبعث رسول الله عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ليخطبها عليه ، فزوجها إياه ، وأصدق عنه ، النجاشي أربعمائة دينار، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة ، وقيل وكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها وذلك في سنة سبع من الهجرة .

وقالت السيدة أم حبيبة لما انقدت عدتي ، فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها أبرهة ، كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت علي

(1) . الذهبي : السابق ، ج2، ص 203. ابن الجوزي : صفة الصفوة ، ج2، ص 17.

فقالت : إن الملك يقول لك ، إن رسول الله كتب إلي أن أزوجه فقالت : بشرك الله بخير ، قالت : يقول لك الملك : وكلي من يزوجك ، فأرسلت خالد بن سعيد بن العاص فوكلته ، وأعطت أبرهة سوار من فضة وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سرورا بما بشرتها ، فلما كان من العشي أمر النجاشي جعفر ابن أبي طالب ، ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي ، فقال : الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله ، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم .

أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ، وقد أصدقها اربعمائة دينار ، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم ، فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمد وأستعينه وأستنصره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد.

أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله ، ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجت أن يؤكل الطعام فدعا لطعام فأكلوا ثم انصرفوا قالت عائشة رضي الله عنها دعتني أم حبيبة عند موتها فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك فقلت: غفر الله لك ذلك كله، فقالت: سررتني سرك الله وأرسلت إلى أم سلمة فقال لها مثل ذلك وتوفيت سنة 44هـ في خلافة معاوية[1].

7- السيدة زينب بنت جحش

هي زينب بنت جحش بن رئاب ، بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، وهي أخت حمنة وأولى المهاجرات ، زوجها النبي صلى الله عليه وسلم من زيد بن حارثة ، ولكنها كانت تعامله باستعلاء وكِبر لأنه

(1) ابن الجوزي: صفة الصفوة 2/ 20.

كان من الموالي وهي سيدة حرة ، وكان يذهب إلى النبي يشتكي له صنيع زينب معه، فيقول له: اصبر وأمسك عليك زوجك، فقال عز وجل في حقهما: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (1).

فلما طلقها زيد وانقضت عدتها، قال رسول الله لزيد اذهب فاذكرني لها فلما قال ذلك عظمت في نفسي، فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت: يا زينب بعثني إليك رسول الله يذكرك، فقالت ما كنت لأحدث شيئا حتى أستأمر ربي عز وجل، فقامت إلى مسجد لها، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (2)، فزوجها الله تعالى لنبيه بنص كتابه، بلا ولي ولا شاهد، فكانت تفخر بذلك، على أمهات المؤمنين، وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق عرشه، وكانت من سادة النساء، دينًا وورعًا، وجودًا ومعروفًا، توفيت رضي الله عنها، عام عشرين من الهجرة، وصلى عليها عمر، عن عمر يناهز 53 عامًا(3).

8-السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

بنت الحارث بن ضرار من بني المصطلق من خزاعة ، قالت السيدة عائشة : أصاب رسول الله نساء من بني المصطلق ، فوقعت السيدة جويرية في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع أواق ، وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فبينما رسول الله عندي ، إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي صلى الله عليه وسلم عرفت أنه سيرى منها مثل الذي

(1) الأحزاب/ 37.

(2) الأحزاب: 37.

(3) الذهبي : المصدر السابق 2/ 212.

رأيت ، فقالت : يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت فوقعت في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبني على تسع أواق فأعني في كتابتي ؟ فقال : أو خير من ذلك، فقالت وما هو ؟ قال : أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت : نعم يا رسول الله ، فقال قد فعلت، فخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله يسترقون ، فأعتقوا ما كان في أيديهم من نساء بني المصطلق ، فبلغ عتقهم مائة بيت بتزويجه إياها ، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها. (1)

وكان اسمها برة فحوله رسول الله فسماها جويرية، كره أن يقال خرج من عند برة، وتزوجها رسول الله وهي ابنة عشرين عاما، وتوفيت سنة خمسين من الهجرة، وفي رواية ست وخمسين ، وهي بنت خمس وستين سنة رحمها الله . (2)

9- السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها

هي بنت حيي بن أخطب من سبط اللاوي من بني إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم ثم من ذرية هارون عليه السلام، تزوجها قبل إسلامها سلام بن أبي حقيق، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق وكان من شعراء اليهود، فقتل عنها كنانة يوم خيبر، وسبيت وصارت في سهم دحية بن خليفة الكلبي، فقيل للنبي عنها، وأنها لا ينبغي أن تكون إلا لك ، فأخذها من دحية وعوضه عنها سبعة أرؤس، ثم لما طهرت تزوجها رسول الله ، وجعل عتقها صداقها، فلما كان رواحه من خيبر، أناخ لها بعيره ، ثم ثني لها ركبته على فخذه لتركب، فأجلت رسول الله أن تضع قدمها على فخذه، فوضعت ركبتها على فخذه فركبت، ثم ركب النبي فألقى عليها كساءه ثم سارا فقال المسلمون: حجبها رسول الله، حتى إذا كان على ستة أميال من خيبر ، مال يريد أن يعرس بها فأبت ، فوجد النبي عليها في نفسه، فلما كان بالصهباء مال إلى دومة هناك فطاوعته، فقال لها : ما حملك على إبائك حين أردت المنزل الأول؟ قالت : يارسول الله: خشيت عليك

(1)سنن أبي داوود/ 3931.

(2) ابن الجوزي: صفة الصفوة، 2/ 22.

اليهود، فأعرس بها رسول الله بالصهباء، وبات أبو أيوب الأنصاري يحرسه، وتوفيت صفية سنة خمسين من الهجرة، وقيل اثنين وخمسين ودفنت بالبقيع[1].

10- السيدة ميمونة بنت الحارث

بنت الحارث بن حزن بن بجيد بن الهزم بن روية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأخت أم الفضل زوجة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، وخالة خالد بن الوليد رضي الله عنه، تزوجها أولا مسعود بن عمرو الثقفي ففارقها وتزوجها بعده أبو رهم بن عبد العزى، فمات عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، في وقت فراغه من عمرة القضاء سنة 7هـ من الهجرة في ذي القعدة وتوفيت بسرف في الظلة التي بنى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل في قبرها ابن عباس وقال الواقدي ماتت في خلافة يزيد سنة 61هـ ولها ثمانون سنة[2].

11- السيدة زينب بنت خزيمة:

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلالية وتدعى أم المساكين لكثرة معروفها قتل زوجها عبد الله بن جحش يوم أحد وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده، ولكنها لم تمكث عنده إلا شهرين أو أكثر، وتوفيت رضي الله عنها، وهي أخت ميمونة بنت الحارث لأمها[3].

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء: 2/ 231، ابن الجوزي: السابق، 2/ 23.

(2) الذهبي : المصدر السابق: 2/ 245.

(3) ابن الجوزي: المنتظم 2/ 161.

- **حلمه صلى الله عليه وسلم بزوجاته**

الحلم من أجل الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، وحث عليها رسولنا الكريم، فخلق الحلم من الأخلاق التي كان يتحلى بها النبي صلى الله عليه وسلم، لاسيما مع زوجاته، فقد كانت حياة النبي لا تخلو من المشاكل الزوجية، التي يصادفها كل الناس، لكنه صلى الله عليه وسلم كان يواجهها بالحلم والحكمة، لاسيما وأن كل واحدة من نسائه تريد أن تستأثر بقلبه، ولهن العذر في ذلك، فرسول الله خير من يغار عليه، وكل امرأة من النساء تحسدهن على ما وصلوا إليه من منزلة، إلا أننا لابد أن ننبه على أن أمهات المؤمنين، لم تكن المشاكل بينهن كتلك التي نراها اليوم في بيوت المسلمين، وإن كانت تشبهها في بعض الأحيان إلا أنها كانت لا تتعدي في كونها مشاكل تحدث بين نساء كلهن يحبون زوجهن، وتجتهد كل واحدة منهن في التعبير عن هذا الحب بأي وسيلة كانت، فمما لا شك فيه أن أمهات المؤمنين لم يكن فيهن درجة العوج التي نراها اليوم بين نساء المسلمين، إلا أن الطبيعة البشرية التي جبلت عليها المرأة من الغيرة وزيادة العاطفة، هو ما جعل مثل تلك المشاكل تطفو على سطح الحياة الزوجية لرسول الله.

وقد تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كل هذه الأمور بالحلم، ضاربا مثالا نموذجيا للزوج العاقل الرزين، الذي يعلم سريرة المرأة ويقرأ أفكارها ودوافعها، فقد كان صلى الله عليه وسلم يجد تبريرات منطقية لإفعالهن، فيتغاضى أحيانا عن بعض هذه المشاكل، ويقف في آن آخر لبعضها موقفا صارما، وذلك في حالة إذا ما تفاقم الأمر وبدأ يأخذ منحا آخر، وهذه دعوة منه صلى الله عليه وسلم لكل زوج، أن يتخذ الحلم خلقا أصيلا مع الناس عامة ومع أهل بيته خاصة.

ومن أمثلة هذه الأفعال التي كانت تحدث في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، أنه حدث أنه كان في بيت عائشة، فأعدت أم سلمة طعاما يحبه رسول الله ولم يكن دورها في ذلك اليوم، فتقول أم سلمة أنها أتت بطعام في صحفة لها إلى رسول الله، فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فهر ففلقت به الصحفة فجمع النبي صلى الله عليه

وسلم بين فلقتي الصحفة ، وهو يقول كلوا غارت أمكم مرتين، ثم أخذ رسول الله صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة وأعطى صحفة أم سلمة لعائشة(1).

فلننظر هنا إلى فعل النبي فقد برر فعل عائشة على أنه غيرة، رغم أنه لو وضع أحدنا اليوم في مثل هذا الموقف لما فعل هذا، إلا أن رسول الله تغاضى عن فعلها هذا ، وفسره بما يتوافق مع خلق الحلم، وهكذا يعلمنا رسول الله إلى أي مدى يجب أن يكون الزوج حليما مع أهل بيته، فيفسر أفعال زوجته في بعض الأحيان تفسيرا إيجابيا بأنها لم تفعل ذلك إلا أنها تحبه أو تغار عليه وهذه أشياء من طبيعة المرأة التي لا تنفصل عنها.

وفي نفس السياق صنعت السيدة عائشة نفس الفعل مع السيدة صفية بنت حيي بن أخطب، حيث كانت من أجود نساء النبي طعاما، تجيد الطبخ وكان رسول الله يحب طعامها للذته وروعة مذاقه، فتقول السيدة عائشة: ما رأيت صانعة طعام مثل صفية، أهدت إلى النبي إناء به طعام ، فما ملكت نفسي أن كسرته، فسألت رسول الله ما كفارته قال: إناء بإناء وطعام بطعام (2).

وروي أيضا أن رسول الله كان يحب أن يمكث كثيرا عند زينب بنت جحش رضي الله عنها، وكانت امرأة ذات جاه وجمال، وكانت السيدة عائشة وجميع نسائه يغرن منها لمكانتها من رسول الله، فتقول السيدة عائشة: كان رسول الله يمكث عندها فيشرب عندها عسلا، قالت : فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها رسول الله فلتقل أني أجد ريح مغافير وهو نوع من الأعشاب رائحته كريهة كرائحة الثوم- أكلت مغافير، فدخل على إحداهما فقالت : ذلك له فقال: بل شربت عسلا عند زينب، ولن أعود له، فنزل قول الله يعاتبه في ذلك قائلا: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك، وعلم رسول الله أن أزواجه إنما قالوا له ذلك لأنهن يغرن من زينب، فلم يفعل معهن شيئا،معتبرا ذلك من باب الغيرة عليه.

(1)سنن النسائي : باب الغيرة ، 8904.

(2)المحب الطبري: مناقب أمهات المؤمنين،ص119.

لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتساهل في بعض الأحيان معهن إذا ما اقتضي الأمر ذلك، فعندما أتى ماريا القبطية على فراش السيدة حفصة، وكانت في الخارج لبعض حاجتها، فأتت فوجدت الستار مرخي على حجرتها، فعلمت أن رسول الله بالداخل فلما فرغ قالت له بصوت عالي: وعلى فراشي يا رسول الله والله ما فعلت ذلك بي إلا لأنك لا تحبني، فحاول رسول الله أن يهدء من روعها ويسكن فؤادها المكلوم المجروح، فقال: لن آتيها مرة أخرى ولكن لا تخبري زوجاتي بذلك، فظلت به حتى أقسم بأن لن يأتيها مرة أخرى وحرمها على نفسه، فعاتبه ربه على تحريم ما أحل الله له فقال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (1).

لكن حفصة لم تكتم الخبر، فأذاعت به لعائشة، وأخبرت عائشة الأخريات، فأخبره العليم الحكيم بذلك فقال تعالى: وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (2) .

فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يقوم بعمل يوقف به هذه الأفعال التي زادت عن حدها، فأقسم أن يعتزلهن جميعا شهرا، فظل شهرا كاملا لا يدخل عليهن حتى ظن الناس أنه طلق زوجاته، ودخل ذلك على أمهات المؤمنين بالغم والهم الكبير ، وأحسوا بالندم على أفعالهن فتابوا إلى الله، ولما شعر عمر بن الخطاب بعظم الجرم الذي ارتكبته ابنته حفصة، أخذ ردائه وذهب إليها فعنفها وضربها، فقال

(1)التحريم/ 1،2.

(2).التحريم 2/ 5.

لها : يا بنية إنك لتراجعين رسول الله حتى يظل يومه غضبان، فقالت والله إنا لنراجعه، فقال لها : إني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله، يا بنية لا يغرنك هذه التي قد أعجبها حسنها وحب رسول الله إياها[1] .

إذا يتضح مما سبق أن نساء النبي كانوا يراجعونه في كثير من الأمور ، أما نحن اليوم فقد تراجع المرأة زوجها، وقد تعلو بصوتها عليه فيقابل صنيعها بالسب والقذف والضرب، بحجة أنه ليس من حقها أن ترفع صوتها عليه حتى لا ينقص ذلك من رجولته، ألم ينظر هؤلاء إلى خير البشر ،وكيف كان صنيعه مع زوجاته في مثل تلك الأمور، أنحن أفضل من رسول الله، وقد تعرض لأكثر من هذا فلم ينهر ولم يسب ولم يضرب .

روي عن النعمان بن بشير الأنصاري قال : جاء أبو بكر يستأذن على رسول الله ، فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله ، فاستأذن فأذن له، فدخل فقال: يابنة أم رومان وتناولها يضربها ، قائلا : أترفعين صوتك على رسول الله؟ قال: فحال النبي بيني وبينها، قال فلما خرج أبو بكر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها يترضاها، ألا ترين أني قد حلت بين الرجل وبينك، قال: ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه فوجده يضاحكها ، فأذن له فدخل فقال له أبو بكر : يا رسول الله أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما[2].

لقد كان رسول الله حليما في غضبه، في عصر تمتد فيه أيدي الأزواج إلى نسائهم إذا ما أخطأوا ، لننظر إلى حكمة الرسول ورفقه ولطفه فى التعامل مع نسائه، إذا ما حدث أي خلاف بينه وبين زوجاته، فقد حدث خلاف بين النبي وعائشة ، فقال لها: من ترضين بيني وبينك أترضين بعمر؟ قالت: لا أرض عمر قط، عمر غليظ، قال:

(1)صحيح مسلم ، باب في الإيلاء واعتزال النساء ، 3765. المحب الطبري : المصدر السابق ، ص 129.

(2)السلسلة الصحيحة للألباني ص 346.وأحمد بن حنبل : فضائل الصحابة ، ج1، ص74.

أترضين بأبيك بيني وبينك؟ قالت : نعم ، فبعث رسول الله رسولا إلي أبي بكر، فلما جاء قال الرسول تتكلمين أم أتكلم؟ قالت: تكلم ولا تقل إلا صدقا فرفع أبو بكر يده فلطم أنفها فولت عائشة هاربة منه واحتمت بظهر النبي حتى قال له رسول الله: أقسمت عليك لما خرجت فإنا لم ندعك لهذا، فلما خرج قامت عائشة ، فقال لها رسول الله: أدني مني فأبت، فتبسم وقال : لقد كنت من قبل شديدة اللذوق " اللصوق" لظهري، إيماءة إلى إحتمائها بظهره خوفا من ضرب أبيها لها[1] . فرغم أنها أخطأت في حقه صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه لم يفاقم المشكلة، بل عز عليه أن أبيها ضربها ، فحاول أن يخفف عنها ويترضاها بالكلام حتى يسكن من روعها.

إن رسول الله وهو الذي ألقيت عليه المهابة، قائد المسلمين وله القوامة على الأمة كلها، يفسح مساحة واسعة في بيته لحركة المشاعر وانفعالات النفوس وتدافع العواطف،فروي أن الأنصار كانوا يكثرون إلطاف رسول الله بالهدايا ، فإذا كان عند أحدهم هدية يريد أن يهديها ، أخرها حتى إذا كان رسول الله في بيت عائشة أرسل هديته إليه عندها، لما عرفوا من حبه لها، فاجتمع نسائه وعلى رأسهم أم سلمة ، وكانت أكبرهن ، وقلن لها كلمي رسول الله ، يكلم الناس فيقول: من أراد أن يهدي رسول الله هدية ، فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه، فلما وافي اليوم الذي يكون فيه رسول الله عند أم سلمة قالت له: يارسول الله إن صواحب اجتمعوا إلى فقالوا: إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وإنا نحب ما تحب عائشة ، فمر الناس يهدوا لك حيثما كنت، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليها، فلما اجتمعن صويحباتها سألنها، ما قال لك رسول الله؟ قالت : ما قال لي شيئا ، قلن لها: كلميه فكلمته للمرة الثالثة فقال لها: يا أم سلمة لا تؤذينني في عائشة ، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها، فقالت أم سلمة : أتوب إلى الله من أذاك يارسول الله، فأرسلن إلى فاطمة بنت رسول الله وهي أحب الناس عنده ، فكلمنها أن تأتي رسول الله فتقول إن أزواجك ينشدنك العدل في بنت أبي قحافة، فمكثت أياما لا

(1)المحب الطبري : مناقب أمهات المؤمنين ، ص 74.

تفعل ذلك ، حتى جاءتها زينب بنت جحش فكلمتها ، فقالت فاطمة: أنا أفعل، فجاءت إلى رسول الله فاستأذنت عليه وهو في بيت عائشة فأذن لها، فقالت إن نسائك أرسلنني يسألنك العدل في بنت أبي قحافة ، فقال صلى الله عليه وسلم: زينب أرسلتك ؟ فقالت فاطمة: زينب وغيرها فقال هي التي وليت ذلك، قالت : نعم، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أي بنية ألست تحبين ما أحب ؟ قالت : بلى يا رسول الله ، فقال: فأحب هذه وأشار لعائشة ، فقامت فاطمة حين سمعت ذلك ، فرجعت إلى أزواج النبي، فأخبرتهن بالذي قالت ، وبالذي قاله رسول الله، فقلن لها يا بنت رسول الله ما نراك أغنيت عنا من شيء، فارجعي إلى رسول الله فقولي له إن أزواجك ينشدنك العدل، في بنت ابن أبي قحافة، فقالت فاطمة : والله لا أكلمه فيها أبدا، فطلب النساء من زينب أن تذهب إليه ، وذلك لقرابتها من رسول الله ، فهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب، فجاءت زينب فاستأذنت على رسول الله ، وكان عند عائشة، فأذن لها فدخلت عليه وهي غضبى فقالت: يارسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، ثم وقعت بعائشة فاستطالت عليها، وعائشة ساكتة ترقب رسول الله، وتقرأ في ملامح وجهه وطرف عينه وقع كلام زينب ،حتى رأته ينظر إليها، وعرفت أنه لا يكره أن تنتصر وتدافع عن نفسها، فاستقبلت زينب ترد عليها، فلم تلبث أن تغلبت عليها وأفحمتها ، حتى ييس ريقها في فمها ، فتبسم رسول الله وجعل يقول ووجهه يتهلل إنها ابنة أبي بكر [1].

لقد تكلمت أم سلمة مع رسول الله في أمر عائشة، وألحت على رسول الله ثم ناشدت زينب أن تحدثه ، ثم ألحت زينب على فاطمة أن تحدثه، وقد كان يكفي منع ذلك لو أراد رسول الله بنظرة غاضبة أو كلمة زاجرة، ولكنه صلى الله عليه وسلم كان حليما ، لم يكن يعامل بالكبت والقهر، وإنما كان سمته السماحة واليسر ولذا تظهر المشاعر والانفعالات الوقتية في حينها، ويحتويها رسول الله بابتسامة أو كلمة ، وبهذه السماحة وبهذا الحلم وبهذا الرفق تشعر الزوجة بكمالها الأنساني وبأنوثتها وبكيانها ،

(1)السلسلة الصحيحة للألباني ، ص 353، المحب الطبري: المصدر السابق، ص 64-65.

ولكي لا تترسب الانفعالات المكبوتة إلى أحقاد ومشاعر سلبية،فتتحول الغيرة إلى حقد وحسد.

وفي حجة الوداع خرج رسول الله ومعه نسائه، فتقول السيدة عائشة : كان متاعي فيه خف وكان على جمل تاج – أي جمل شديد قوي – وكان متاع صفية بنت حيي فيه ثقل ، وكان على جمل ثقال بطيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة حتى يمضي الركب، فقالت عائشة : فلما رأيت ذلك فقلت يالعباد الله غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ، قالت : فقال رسول الله : يا أم عبد الله (وكان يدعوها بهذا الاسم تلطفا معها) إن متاعك فيه خف وكان متاعها فيه ثقل فأبطأ بالركب، فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرها، قالت : فقلت أليس تزعم أنك رسول الله ؟ قالت : فتبسم وقال : أوفي شك أنت يا أم عبد الله ؟ قالت : فقلت : أولست تزعم أنك رسول الله فهلا عدلت ، فسمع أبي بكر قولها وكان فيه عرب أي جدة، فأقبل على ولطم وجهي، فقال رسول الله مهلا يا أبي بكر، فقال : يا رسول الله أولم تسمع ما قالت؟ فقال رسول الله : إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه [1].

وهكذا برر رسولنا الكريم الحكيم في تصرفاته موقفها هذا وكلامها هذا على أنه غيرة شديدة، واستطاع أن يمتص غضبها ويبرر تصرفها بأنه شدة الحب ولوعته هو الذي أدى بها إلى ذلك التصرف.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدرك تماما ، أن السيدة عائشة لم تفعل ذلك إلا لأنها أحب نسائه إلى قلبه ، وأن هذه الغيرة الشديدة ما هي إلا تعبير منها عن الحب الشديد له صلى الله عليه وسلم، وهي نفسها تروي تفاصيل تلك الغيرة وتقول : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بصفية وكانت جميلة فقالت : لما قدم رسول الله المدينة

(1)مسند أبي يعلى : 4670،وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ، 2985. والمحب الطبري : المصدر السابق ، ص74.

،وهو عروس بصفية جئن نساء الأنصار فأخبرتني عنها، قالت : فتنكرت وتنقبت فذهبت ونظرت، فنظر رسول الله إلى عيني فعرفني، فالتفت والتفت فأسرعت المشي فأدركني فاحتضنني وقال كيف أنت؟ قلت أرسلت يهودية وسط يهوديات ، وفي رواية " رأيت يهودية بين يهوديات فقال : لا تقولي هذا فقد أسلمت[1].

فضحك رسول الله من صنيعها ، واحتضانه صلى الله عليه وسلم لها ليخفف من غيرتها مما رأت ، فها هو يتزوج إمرأة جميلة أخرى ويأتي بها إلى بيته وتشاركها حبه وقلبه فلما لا تغار من ذلك.

ودخلت يوما السيدة زينب بنت جحش على رسول الله في حجرة عائشة وكانت الحجرة مظلمة، فمدت السيدة زينب بيديها لتمسك بيد رسول الله، فأمسكت عائشة بيده ،وقالت : هذه يد زينب فضحك رسول الله وكف يده[2] .

حتى أنها رضي الله عنها كانت تغار من التي وهبت نفسها للنبي، وشعرت بأن هذا الفعل مشين في حق المرأة، إذ كيف تهب نفسها للرجل؟ ولكن خفي عليها أنها وهبت نفسها لخير الخلق على الإطلاق ، وهبت نفسها لمن تطوق إليه أنفس كل النساء وهو حبيب الرحمن محمد صلى الله عليه وسلم، وعندما أنزل الله عز وجل قوله تعالى : ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء " قالت عائشة ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك يا رسول الله [3].

وتجدر الإشارة إلى أن بعض نساء النبي كن يفخرن بعضهن على بعض، فكان رسول الله يقف من هذا الأمر موقفا جادا،حتى لا يخرج الأمر عن حده وتتفاقم المشاكل بينهن، ويتحول الأمر بينهن إلى بغض وحقد ، ويصل الأمر إلى حد لا يمكن معه تداركه، فعندما عيرت السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب، السيدة صفية بنت

---

(1)الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج2، ص236.

(2)المحب الطبري : المصدر السابق ، ص118 .

(3)نفس المصدر ، ص120.

حيي بن أخطب ، فقالت لها : يابنت اليهودي بكت السيدة صفية من قولها ، فدخل عليها رسول الله وهي تبكي وكان صلى الله عليه وسلم يعز عليه أن يرى أحدا يبكي ، فقال ما يبكيكي ؟ قالت: قالت لي حفصة أني ابنة اليهودي، فقال النبي: إنك لابنة نبي وإن عمك نبي وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟ثم قال لحفصة: اتق الله يا حفصة[1]

لكن نسائه صلى الله عليه وسلم لم ينتهين من هذا الأمر فعيرتها أيضا السيدة زينب بنت جحش، وقالت لها مثل مقولة حفصة، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن اتخذ موقفا حيال هذا الأمر ، لكي يقطع ألسنتهن من الخوض في معايرتها مرة أخرى، فهجر السيدة زينب شهرين ونصف ، عقابا لها على ما صنعت، ولتكون عبرة لغيرها من نسائه. [2]

فلما شق على زينب فراق النبي صلى الله عليه وسلم، حاولت أن تترضاه بشتى الطرق، فكانت عندها جارية جميلة ، فروي أنه عندما دخل عليها بعد هذه المدة، وكانت قد رفعت سريرها، فقالت يا رسول الله ما أصنع؟ قال وكانت لها جارية تخبأها من رسول الله، فقالت محاولة ترضيته هي لك يا رسول الله تزوجها، فضحك صلى الله عليه وسلم ومشي إلى سريرها فوضعه بيده ورضي عنها. [3]

إلا إنهن لم يعين الدرس الذي أخذته زينب ، فعاودوا الكرة مرة أخرى فقالت لها حفصة وعائشة يوما: نحن أكرم على رسول الله منك، فنحن أزواجه وبنات عمه، فأخبرت صفية النبي بما قالوه لها، فقال لها النبي : إذا عاودن فقولي لهن : وكيف تكونان خيرا مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى. [4]

---

(1) نفس المصدر ، ص207. صحيح ابن حبان : 7211.

(2)الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج2، ص 234 .أخرجه أبو داوود.

(3).الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج2 ، ص 234.

(4)الترمذي : السنن 3893 ، الذهبي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 232.

وروي أن سودة بنت زمعة دخلت على أساري بدر في بيت رسول الله ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو وأخو السكران بن عمرو في ناحية الغرفة مجموعة يداه إلي عنقه بحبل، فما والله ما ملكت نفسها حين رأت أبا يزيد أن قالت: أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراما، فوالله ما انبهني إلا قول رسول الله من البيت، يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين؟ قلت يارسول الله : والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت. [1]

فعفا عنها رسول الله على اعتبار أنها قالت ذلك بطريقة عفوية غير مقصودة، وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يجد دائما مبررات لصنيع زوجاته معه، حتى لا تتفاقم المشاكل ويحدث ما لا يحمد عقباه.

وحدث يوما أنه صلى الله عليه وسلم أتى بأسير فحجزه في حجرة من حجرات بيته، وأوصى عائشة به، وكانت عندها نسوة فلهينها عنه، فذهب الأسير دون أن تشعر به، فجاء النبي فقال : يا عائشة ما فعل الأسير؟ فقالت : لهوت عنه مع النسوة فخرج ، فقال: مالك قطع الله يديك ، فخرج فأذن في الناس فطلبوه فجاءوا به، فتقول عائشة : فدخل علي رسول الله وأنا أقلب يدي ، فقال : مالك أجننتي؟ قلت: دعوت علي فأنا أقلب يدي أنظر أيها تقطع ، فتبسم النبي وحمد الله وأثنى عليه ورفع يده قائلا: اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر ، فأيما مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه فاجعله زكاة وطهورا . [2]

وهكذا نسي رسول الله بكل سهولة ما صنعته عائشة ، فعفى عنها ولم يوبخها بعد رجوعه ، وهذا مثال نادر من الثبات النفسي عند رسول الله ، يعلمنا من خلاله بأن يكون المؤمن متزن نفسيا، لا يغالي في غضبه أو فرحه ، بل يكون عنده حلم في التعامل مع الأمور وحكمة في تدبيرها.

(1)عائشة عبد الهادي : تراجم سيدات بيت النبوة ، ص 65.

(2)مسند أحمد: 24304.

ورغم ما كان يعلمه زوجات النبي من حبه الزائد لعائشة، إلا إنهن كن يلجأن لها في بعض الأحيان لتتدخل لدى النبي في تصحيح بعض الأوضاع ، أو لمصالحته على بعض نسائه.

فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد على صفيه بنت حيي يوما في شيء فعلته، فلم تجد السيدة صفية بدًا من اللجوء لعائشة لتصلح بينها وبين النبي، فقالت : يا عائشة : أرض عني رسول الله ولك يومي، فقالت نعم: فأخذت خمارًا لها مصوغا بزعفران ، فرشته بالماء ليفوح ريحه، فقعدت إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله: إليك يا عائشة إنه ليس يومك، فقالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فأخبرته بالأمر فرضي عنها رسول الله. [1]

وحدث أن افتخر أزواج النبي يوما على السيدة جويرية بنت الحارث، فقالت يا رسول الله: إن نساءك يفخرن علي يقلن لم يتزوجك رسول الله ، أي أن إقامتها في بيته بملك اليمين فهي أمته وليست زوجته، فقال لها صلى الله عليه وسلم : يطيب خاطرها ويمسح الدمع من على خدها في حنو وحنان قائلا : ألم أعظم صداقك ، ألم أعتق أربعين من قومك فسكنت وكفت عن البكاء.

وفي مرضه الأخير صلى الله عليه وسلم ونسائه يقفن حوله يداعبهن بكلامه، ويخفف عليهن من ألم انشغالهن عليه بسبب مرضه ، فقالت السيدة صفية :والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزها أزواجه، فأبصرهن فقال : مضمضن ، قلن من أي شيء ؟ قال: من تغامزكن بها ، والله إنها لصادقة. [2]

وكان يحدث أحيانا أن تحتدم بينهن المنافسة في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، فيدعهن وشأنهن لعلهن يجدن في ذلك راحة لنفوسهن ، وتنفيسا عن مشاعرهن، فحدث يوما أن انفلت لسان عائشة بكلمة أغضبت النبي ، فقد تلقى هدية

(1)النسائي : السنن الكبرى ، 8923.

(2)الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج 1،ص235 .

وهو في بيتها كالعادة، فأرسل إلى كل زوجة نصيب منها، لكن زينب ردت ما جائها من الهدية،فلم تملك عائشة نفسها فقالت: لقد أقمأت وجهك حين ترد عليك الهدية، فقام عنها وهو غاضب وهويقول : أنتن أهون على الله من أن تقمئنني. (1)

ومر أبو بكر برسول الله وقد أذن للصلاة ، فسمع عائشة وزينب بنت جحش، تتطاول إحداهن على الأخرى بالكلام وقد ارتفعت أصواتهن، فسمع أبو بكر أصواتهن فقال يا رسول الله أخرج للصلاة واحث في وجههن التراب، فخرج النبي فقالت عائشة: الآن يقضي النبي صلاته ، فيجيء أبو بكر فيفعل بي ويفعل، فلما قضي النبي صلاته، أتاها أبو بكر فقال لها قولا شديدا وقال : أتصنعين هذا برسول الله. (2)

هكذا رسم رسول الله صلى الله عليه وسلم طرق ووسائل المعاملة الحسنة بين الزوج والزوجة، وأنه يجب النظر إلى الجانب الإيجابي في المرأة، ولا يجب أن يسلط الزوج الضوء دائما على سلبياتها، ولابد للزوج أيضا أن يسمح بمساحة لزوجته للتعبير عن ما يجيش بداخلها من مشاعر الغيرة والحب، فقد سمح رسول الله من قبل للانفعالات والمشاعر أن تتدافع وتنطلق في بيته، لكي تُكسب البيت حيوية ونشاطا، فلم يكبتها أو يحول دونها ،لأنه رأى صلى الله عليه وسلم في ذلك تنفيسا عن المشاعر ، وعلم أن في كبتها مسالب عديدة ، فسوف تفتح المجال للأحقاد والغيرة المطعمة بالغل والحسد، فيفسد جو الأسرة ويخيم على البيت الكآبة والحزن.

(1)السمط الثمين: ص 400.وابن سعد : الطبقات الكبري ، ج 8، ص190.

(2)صحيح مسلم : 1462.

عدله صلى الله عليه وسلم بين نسائه

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعدل بين نسائه بصورة كبيرة ، فرغم تعدد زوجاته إلا أنه كان حريصا كل الحرص على العدل بينهن، فإذا ما أعطى واحدة شيئا أعطى الأخريات، فعن بن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح جلس في مصلاه، وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس ثم يدخل على نسائه، واحدة تلو الأخرى فيسلم عليهن ويدعوا لهن ، فإذا كان يوم إحداهن كان عندها . (1)

كما كان يعدل بينهن في عرسهن، فعندما تزوج عائشة وهي بكر - ولم يتزوج بكرا غيرها - قضى عندها سبعا، وإذا تزوج ثيبا أقام عندها ثلاثا. (2) ، لذلك عندما تزوج أم سلمة أقام عندها ثلاثا، فعن أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلاَثًا ثُمَّ قَالَ « لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِنِسَائِي (3) وهذا من باب عدله صلى الله عليه وسلم، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله إذا أراد سفرا أقرع بيننا، فأيتهن خرج سهمها سافر بها معه، وكان رسول الله يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير سودة جعلت يومها لعائشة، تبتغي بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إلا أنه صلى الله عليه وسلم كان يخاف من ربه إن كان مقصرا في حق زوجاته، لاسيما أنه كان يحب عائشة كثيرا، وهذا أمر ليس بيده ، فكان يقول: ربي هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك . (4)

(1)ابن حجر : فتح الباري شرح حديث البخاري ، ج9، ص 379:

(2)السلسلة الصحيحة للألباني: ص343.

(3)سنن أبي داوود : باب في المقام عند البكر ،2124 ، والمحب الطبري : مناقب أمهات المؤمنين ، ص 140.

(4) سنن الترمذي : باب التسوية بين الضرائر ، 1140، والسمط الثمين : ص17 .

ورغم أنه صلى الله عليه وسلم كان لديه عدد من الزوجات ، وكان لا يأتي إحداهن إلا بعد عدة أيام ، إلا أنه كان يجمعهن كل يوم في بيت التي يبيت عندها ، ليأنس بهن ، حتى لا يستوحش منهن، فيجلس معهن ما يجلس ، ثم تنطلق كل واحدة منهن إلى حجرتها، فعن قتادة عن أنس بن مالك : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار بغسل واحد ، وهن إحدى عشر قال : فقلت لأنس : وهل كان يطيق ذلك ؟ قال:كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا [1].

ومن صور عدله صلى الله عليه وسلم أنه ظل يعدل بين زوجاته حتى النزع الأخير، فكان يُحمل وهو مريض إلى بيت التي يبيت عندها هذا اليوم ، فلما أثقل ولم يستطع الحراك ، استأذن منهن في أن يمرض في بيت عائشة، فأذنَّ له . [2] ولو إنهن رفضن ذلك لنزل على رغبتهن وبات عند كل واحدة منهن يومها.

وروي أنه أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلادة جميلة، فتطلعت كل واحدة من نسائه في أخذها، لكنهن ظنوا جميعا بإنه سيعطيها لعائشة لمزيد حبه لها، لكنه آثر أن لا يفعل ذلك حتى لا يأجج نار الحقد بينهن، فدعى بأمامة بنت زينب ابنته فعلقها في عنقها،[3] ودرأ بفعله هذا مشاعر الحقد والحسد التي كان من المتوقع حدوثها بين زوجاته.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم أنه عندما شعر بأن العلاقة بينه وبين سودة بنت زمعة ليست على ما يرام ،وأنه بذلك قد يظلمها ولا يعدل بينها وبين زوجاته ، أراد أن يسرحها سراحا جميلا، فلما جاء يومها أخبرها بما يدور في صدره، وهو يعتصر من الألم على جرحه لمشاعرها، فوقع عليها الخبر كالصاعقة وأحست بأن الدنيا بما فيها من جبال قد أطبقت على صدرها، فنشجت بالبكاء وجثت على ركبتيها أمامه وهي

(1) صحيح ابن خزيمة ، 231، والسمط الثمين : ص18.

(2)مصنف ابن أبي شيبة : باب العدل بين النسوة ، 17837.

(3)مسند أحمد : 24748.

تستجديه وتستسمحه أن لا يفعل ذلك، فوضع رسول الله يده على رأسها ويربت بالأخرى على كتفها يطيب خاطرها، فهو يعلم مدى ما يسببه هذا الأمر من ألم للمرأة ، حين تشعر أنه بين عشية أو ضحاها قد تخسر الرجل الذي أحبته وعاشت في كنفه على السراء والضراء ،فبكى النبي لبكائها ، وفي محاولة منها رضي الله عنها وهي تعلم أنها امرأة عجوز غير جميلة ، وأن نساء النبي الأخريات، يافعات وجميلات ، فرأت أن تتنازل عن حقها في رسول الله ، وتدعه لعائشة لعلها تحشر يوم القيامة من زوجاته، ولعلها ترى كل يوم ثغره الباسم ولا تحرم من طلعته البهية ، فقالت : أمسكني يا رسول الله واجعل يومي لعائشة، فلا أريد منك ما تريد منك نسائك، كل ما أريده هو العيش معك أخدمك وأخدم نسائك ، وأبعث يوم القيامة من زوجاتك، فحن عليها رسول الله وأمسكها نزولا على رغبتها.

وهذه دعوة منه صلى الله عليه وسلم لكل من له أكثر من زوجة ، أن يعدل بينهن فإذا لم يستطع فليسرحهن سراحا جميلا ولا يذرهن كالمعلقة، لكننا اليوم نرى الرجل يتزوج المرأة لجمالها ، ويبيت معها ويهمل أم أولاده فلا يقسم لها، وقد لا يذهب إليها مطلقا، ونسي ما تحملته معه من مشاق ومتاعب ، فقد عاشت معه على الفقر والغنى ، على الحرمان والعطاء ، حتى إذا ما وسع عليه الله تزوج عليها ونسي وقوفها بجواره، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يفعل ذلك ، بل كان يحفظ كبر سن زوجاته ، ويحترم أكبرهن سنا ، بل كان من فضله وعدله أنه كان يبدأ السلام والدخول على أكبرهن سنا ، احتراما وتقديرا لها ولسنها ، فكان إذا صلى العصر يدخل على كل واحدة منهن ، فيقبل كل واحدة منهن ، يبدأ بأكبرهن سنا وهي أم سلمة ، ويختم بأصغرهن سنا وهي عائشة رغم أنها كانت أحب النساء إلى قلبه . [1]

(1)السمط الثمين ، ص 143.

• وفائه صلى الله عليه وسلم لزوجاته

الوفاء من أسمى الأخلاق التي يتحلى بها المسلم، فهو بمثابة رد الجميل والمعروف لأصحابه، والنبي صلى الله عليه وسلم من أوفى الناس لأزواجه، فروي أنه كان يسمر يوما معهن، وكان يحكي لهن قصة أبي زرع مع أم زرع ، وهي قصة في الوفاء والمحبة بين الزوجين، فلما فرغ من قصها عليهن ، نظر إلى عائشة في حنان قائلا لها : كنت لك كأبي زرع لأم زرع ، أي أنا لك يا عائشة كأبي زرع لأم زرع في الوفاء والمحبة، فقالت عائشة : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لأنت أخير عندي من أبي زرع لأم زرع.(1)

هكذا كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته ، فيض من الحنان والمشاعر الدفاقة، فدائما ما كان يلهب مشاعر زوجاته بهذه الكلمات الرومانسية ، التي قل ما يقولها اليوم الزوج لزوجته، لذلك تهافتت زوجاته على حبه ، ومبادلته نفس المشاعر والأحاسيس.

ومن أسمى صور الوفاء في حياته صلى الله عليه وسلم ، وفائه لزوجته خديجة رضي الله تعالى عنها، فقد كان يحترمها ويعلي من قدرها، وذلك جزاء وقوفها بجواره وتحملها صعوبة الحياة معه ، في مرحلة هي من أشد المراحل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد واسته بمالها ونفسها عندما تخلى عنه الناس ، وكان لها دور كبير في تثبيت أركان هذا الدين ، بوقوفها المشرف بجوار النبي صلى الله عليه وسلم، فعندما كانت تحدوه الذكريات إلى ذكراها العطرة يجلس ويبكي ، ويظل يثني عليها خيرا، ويجاهر أمام زوجاته بحبه لها، بل ويصل من كان يعرفها وفاءً لها، حتى أن السيدة عائشة كانت تغار من ذلك وتقول : ما غرت من أحد من نساء النبي، ما غرت على خديجة، وما رأيتها ولكن كان النبي يكثر من ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها

(1)البخاري :باب حسن المعاشرة مع الأهل،4893 .سنن النسائي : باب شكر المرأة لزوجها، 9138.

في صدائق خديجة، فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول : كانت وكانت وكان لي منها الولد . [1]

إلا أننا اليوم نرى الرجال يتزوجون النساء على زوجاتهن ، اللاتي تعبن معهم، وقضين معهم أوقاتا صعبه ، وتحملن متاعب الحياة وتعبن في تربية الأبناء، ونراهم يتجاهلون كل ذلك ، وربما لم يقسموا لهن في المعيشة ، ويبيت كل يوم مع زوجته الجديدة ويهمل الأخرى، ألا يعتبر هؤلاء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، الذي ظل على وفائه لزوجته خديجة ، رغم ما كان عنده من زوجات الواحدة منهن أجمل بكثير من خديجة ، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم يُعَلم الأمة من بعده معنى الوفاء .

ومن صور وفائه لها أيضا ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن امرأة عجوز جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو عندي، فقال لها رسول الله: من أنت ؟ فقالت: أنا جثامة المزنية . فقال : بل حسانة المزنية ، كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت : بخير يا رسول الله ، فلما خرجت قلت : يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ، فقال : إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان[2]

وكان كلما ذبح شاة يجعل منها نصيب لصويحبات خديجة ، فغارت السيدة عائشة من ذلك ، وقالت له قولا أغضبه ، وأخذ النبي منها موقفا ، حتى ترضاها بقوله : يا عائشة إني رزقت حبها . [3]

وروي أنه بعد انتصار المسلمين في بدر، جلس النبي يتلقى فداء الأسرى من قريش، فلا يكاد يلمح قلادة لخديجة بعثت بها ابنتها زينب في فداء زوجها الأسير أبي

(1) صحيح البخاري : 3607 .

(2)السلسلة الصحيحة للألباني: ص 325 . والبيهقي : شعب الايمان ، فصل في المكافأة بالصنائع،9122.

(3)السمط الثمين ، ص 44. ومسلم : 2436.

العاص بن الربيع، فأمسكها رسول الله بيده، وأخذ في البكاء ، عندما تذكر زوجته خديجة،فقال لأصحابه:يستأذنهم في أن يردوا القلادة لزينب ويفكوا أسيرهـــا. [1]

لم ينس أبدا رسول الله تلك المرأة التي قضى معها أجمل أيام حياته، فكان كلما ذكرها بكى حتى يبكي من حوله، حتى أن بعض الصحابة قالوا: لقد توجَّد رسول الله على خديجة بعد وفاتها، حتى خُشي عليه حتى تزوج عائشة. [2]

(1)عائشة عبد الرحمن: نساء النبي، ص 51.

(2)الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص116.

• خدمته صلى الله عليه وسلم لأهله

جعل النبي صلى الله عليه وسلم صفة الخيرية لمن يكون له خير في أهل بيته، فقال صلى الله عليه وسلم: خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي.[1] وهكذا حثنا الرسول الكريم بأن يكون الإنسان في خدمة أهله ، فهو خير له في الدنيا والآخرة، لكننا نرى الأزواج اليوم يتأففون من العمل في البيت ، ومن مشاركة زوجته بعض الأعمال المنزلية ، ظنّا منه بأن هذه الأعمال تنقص من رجولته، ومن قيوميته على زوجته.

إننا وبنظرة ثاقبة إلى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، لنجد زوجا مثاليا في كل شيء، فكان صلى الله عليه وسلم في خدمة أهله، سئلت السيدة عائشة يوما ما كان يصنع رسول الله إذا دخل البيت ؟ فقالت : كما يصنع أحدكم ، كان في مهنة أهله ، يقطع لهم اللحم، ويقم البيت، ويعين الخادم في خدمته.[2]

وروي عن عرباض بن سارية رضي الله عنه قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا سقى الرجل امرأته الماء أجِر ، فقمت إليها فسقيتها، وأخبرتها بما سمعت.[3] هؤلاء هم صحابة النبي الذين قالوا سمعنا وأطعنا ، إلا أن بيوتنا اليوم خير شاهد على معصية الله ورسوله، بما تشهده من شد وجذب، وسب وقذف، وأفعال ما أنزل الله بها من سلطان.

وبالجملة فمجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، فينبغي أن يقتدى به ، ومنه ينبغي أن يتعلم ، وقد قال أبو سلمة قلت لأبي سعيد الخدري ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم ، فقال : يا ابن أخي كل لله واشرب لله والبس لله ، وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء

(1)صحيح ابن حبان : باب معاشرة الزوجين ،4177، وسنن الترمذي ، باب فضل أزواج النبي ، 3695.

(2)السمط الثمين ، ص22.

(3)السلسلة الصحيحة للألباني: ص343.

أو سمعة ، فهو معصية وسـرف ،وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته، كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ، ويطحن عنه إذا أعيا ويشتري الشيء من السوق ، ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه ، وينقلب إلى أهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير، ويسلم مبتدئا على كل من استقبله ، من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة. [1]

وفي حديث آخر ذكره القرطبي في الجامع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخدم زوجته فيما خف من الخدمة ويعينها ، لما روته عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكون في مهنة أهله ، فإذا سمع الأذان خرج. وهذا قول مالك : ويعينها. وفي أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخصف النعل ويقم البيت ويخيط الثوب. وقالت عائشة: وقد قيل لها : ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ؟ قالت : كان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه. [2]

(1)أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، ج5، ص 158.

(2)القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،باب تفسير سورة النحل ،ج10، ص145 .

• يعرف مشاعرهن ويقدرها

لا ريب أنه من الأشياء التي تلهب مشاعر الحب والود بين الزوجين، هو احترام كل طرف منهم للآخر، فالزوجة عندما تشعر بأن زوجها يراعي مشاعرها، ويحرص على عدم المساس بها وجرح مشاعرها، فمن المؤكد أنها ستبادله نفس الشعور ونفس الأحاسيس، وستكون الحياة بينهما مفعمة بالحيوية ، والحب والود، إن ما تغط فيه بيوت المسلمين اليوم من مشاكل كثيرة ، ليعود في المقام الأول إلى عدم احترام وتقدير كل طرف للآخر، وهذا يجعل الحياة بينهما على صفيح ساخن، سرعان ما تلتهب لأقل المشاكل فتفتر العلاقة بين الزوجين، وينهدم البيت ويدفع في النهاية الأبناء الثمن

أما لو أننا التزمنا سيرة رسول الله في تعاملاته مع أزواجه، لخيمت السعادة على بيوت المسلمين، ولم نجد هذا الكم الهائل من حالات الطلاق التي تحدث كل يوم ، فقد كانت المرأة بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، كتابا مفتوحا عرف أن يقرأه جيدا، فعرف إجابيتها وسلبيتها، علم مشاعرها وأحاسيسها، لذلك استطاع صلى الله عليه وسلم أن يحقق المعادلة الصعبة، في التوفيق بين أزواجه على اختلاف أعمارهن وأمزجتهن، كان صلى الله عليه وسلم يعرف دوافع المرأة ، في جميع أفعالها ، لذلك سمح صلى الله عليه وسلم لتلك المشاعر أن تتدفق وتنطلق لتعبر عن حبهن له ، سواء بالغيرة مرة ، أو بالشد والجذب مرة ، بل كان صلى الله عليه وسلم يلهب مشاعر زوجاته بأفعاله تارة ، وبأقواله تارة أخرى ، من خلال كلام معسول عز من يقوله اليوم لزوجته، إلا أنه كان صلى الله عليه وسلم يعلم أن الكلام المعسول للمرأة ، يجعلها في قمة السعادة .

ومن جميل خلقه أيضا معهن وتقديره لهن ومراعاته مشاعرهن، أنه كان لا يتأفف منهن في وقت حيضتهن، حتى لا يجرح مشاعرهن، فهو يعلم أن هذا الأمر فرضه الله على بنات حواء ، وليست للمرأة خيار فيه، فروي عن ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله يدخل على إحدانا وهي حائض

فيضع رأسه في حجرها فيقرأ القرآن ، ثم تقوم إحدانا بخمرته (وهي التي يصلى عليها) فتضعها في المسجد وعليها ثوب . [1]

وعن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة أنها كانت تنام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في لحاف واحد وهي حائض وعليها ثوب. [2]

وعن أم سلمة قالت : كنت نائمة مع رسول الله في اللحاف فحضت ، فقال لي: أنفستي؟ قلت : نعم ، قال قومي فأصلحي حالك ثم عودي ، فألقيت عني ثيابي ولبست ثياب حيضتي ثم عدت فدخلت معه اللحاف ، وفي روايه فدخلت معه الخميلة [3].

إن هذا الفعل من النبي صلى الله عليه وسلم ، جاء ليعلم أصحاب النفوس المريضة من الأزواج الذين يتأففون من زوجاتهن عند حيضتهن، فلا يأكلون من طعامهن ، ولا يشربون من إنائهن، ولا ينامون بجوارهن ، مما يزيد من ألمهن ويجرح مشاعرهن، فتجد المرأة في حيضتها رغم ما تعانيه من ألم جسماني رهيب، تجد زوجها يزيد هذا الألم بتجاهله لها وإعراضه عنها.

كما كان صلى الله عليه وسلم يلهب مشاعر زوجاته بكلامه الجميل، التي تحب دائما أن تسمعه المرأة، فترى الرجال اليوم يستحيون من التعبير عن حبهم لزوجاتهن بكلام جميل ، ويكتفي بالتعبير عن حبه لها بأن يحضر لها بعض الأشياء في البيت، أو ما شابه ذلك، إلا أن المرأة بطبيعتها الرومانسية تحتاج إلى ما هو أكثر من الطعام والشراب، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدرك ذلك، فنراه لا يتأفف من ذكر اسم زوجته أمام الناس ، ولا يخفي تعبيره عن حبه لها أمامهم، فعندما تخفت الألسن بذكر أسماء الزوجات ، نرى رسول الله يصرح بحبه لزوجته عائشة أمام الناس جميعا دون حرج أو

(1)مسند أحمد: ج6 ، ص331، 26853.

(2)الذهبي : تذكرة الحفاظ ،ج1، ص 174.

(3)البخاري : صحيح البخاري ، باب القبلة في الصيام ،ج1، 420.

وجل ، فعندما سأله الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه من أحب الناس إليك ؟ قال : عائشة ، فقال : ومن الرجال ؟ قال أبوها[1]

وعن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا ذبح الشاة يقول : (اذهبوا بهذه إلى أصدقاء خديجة) قالت : فأغضبته يوما فقال صلى الله عليه وسلم : (إني رزقت حبها). [2]

وأخذ يترضى السيدة عائشة يوما ، بكلامه الجميل فقال لها : أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة ، فقلت بلى ، قال : فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة [3]. وقال لها يوما يا عائشة : إني لأعلم إذا كنت عليَّ راضية من عدمه، قالت: وبم تعرف ذلك يا رسول الله؟ قال : إذا كنت عني راضيةً تقولين لا ورب محمد، وإذا كنت عليَّ غضبى قلت: لا ورب إبراهيم ، فضحكت وقالت أجل ما أهجر إلا اسمك[4] .

ما أجملها من كلمات وما أجمله من غزل، لا أهجر إلا اسمك ، أي لا يتعدى غضبي منك إلا هجران اسمك فقط ، فهلا تعلمنا من رسول الله كيف نروي بيوتنا من نهر الحب الخالد، هل تكلف رسول الله شيئا في التعبير عن حبه لزوجاته، ألا نتعلم منه كيف نبني بيتا سعيدا ، ترفرف عليه سحائب الحب والمودة، ألا بنينا بيوتنا على أساس من الترابط والاحترام وتقدير المشاعر، ألا رجعنا إلى الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟لنستقي منها حضارتنا ، ونروي بها قيمنا، بدلا من أن نأخذ ثقافتنا من الانحلال الغربي المنحط في قيمه ومبادئه القائمة على إطلاق الحريات إلى ما لا يتخيله عقل بين الرجال والنساء ، فاختلطت الأنساب وتحطمت الأسر وتفكك المجتمع ، إن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله أسوة حسنة لجميع الخلائق ، طوق

(1)سنن البيهقي : باب إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به ، ج6، ص 370.

(2)صحيح بن حبان :ج15، ص467.

(3)السلسلة الصحيحة للألباني: ص 346.

(4)السمط الثمين ، ص75. والنسائي : السنن الكبرى ،ج5، ص365 .

نجاة لكل من يريد أن يبني بيتا ترفرف عليه السعادة ، ويهنئ بالعيش الرضي. ولا غرو في أن ما نغط فيه اليوم من مشاكل وترهات وحالات الطلاق التي فاقت معدلاتها الطبيعية ، والتي زادت في بعض المجتمعات الإسلامية عن معدلات الزواج، لينم عن شرخ كبير في العلاقات الزوجية ، تعود أسبابه في المقام الأول إلى البعد عن الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

- **مشاركتهن في الطعام والشراب**

إن مشاركة الزوج لزوجته في مأكلها ومشربها من الأشياء التي تضفي جوا من الدفء في البيوت، لما تتركه من أثر إجابي على نفسية المرأة ، لاسيما إذا كانت في مكان شاعري يشعر المرء فيه براحة نفسية ، حتى ولو كان في البيت، فالزوجة تستطيع أن تصنع ذلك بإضافة لمستها الجميلة على المكان ، فيتحول من مكان بسيط، إلى مكان تهفو النفس إلى الجلوس فيه، ثم يكمل الزوج هذه الصورة الجميلة للمكان والطعام بكلمات الحب والثناء على الزوجة ،كأن يخبرها بأن طعامها جميل ، ومذاقه فريد ، هذه الكلمات وإن كانت بسيطة إلا أنها تقع في نفس المرأة موقع السحر، ولا غضاضة أيضا في أن يرمقها الزوج من حين لآخر بنظرة حانية فيخبرها بأنها جميلة ؟ ثم يطعمها بيده ، هذه الأشياء التي لا نراها اليوم إلا على شاشات التلفاز ، وتتمنى المرأة من زوجها أن يصنع معها كما تراه كل يوم أمامها في الإعلام ، رغم أن ما تراه أيضا متصنع ، وهؤلاء الممثلين لا يصنعون ذلك في بيوتهم، فإذا كان الرجل يجد عيبا في ذلك ، فقد صنعه رسولنا الكريم مع زوجاته ، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأن اللقمة التي تضعها في فم المرأة لك بها صدقة ، فقال صلى الله عليه وسلم : وإنك مهما أنفقت من نفقة ، فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك هي صدقة. فليست فقط كسب للود والمحبة ، إلا أنك تؤجر عليها من الله.

فعن عرباض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سقى الرجل امرأته الماء أجر ، فقمت إليها فسقيتها وأخبرتها بما سمعت .(1)

وكان صلى الله عليه وسلم يتحين موضع شراب السيدة عائشة ، ويضع فمه على مكان فمها وهي حائض ، وتقول السيدة عائشة أيضا : كنت أتعرق العظم وأنا حائض فأعطيه النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فمه في الموضع الذي فيه وضعته، وأشرب الشراب فأناوله فيضع فمه في الموضع الذي كنت أشرب منه .(2)

(1)السلسلة الصحيحة للألباني: ص343.

(2)أبو داوود ، كتاب الطهارة ،259 .

- **يروي لهن القصص ويسمر معهن**

مع عظيم انشغاله صلى الله عليه وسلم بأمور المسلمين ، وبأمور الدعوة والجهاد ، إلا أنه كان يجد مساحة لأهل بيته ، ولا يشغله ذلك عنهم ، فقد كان يجلس معهن يروي لهن القصص ، ويسمر معهن ويضاحكهن ، فيجتمع بهن كل يوم عند التي كان يبيت عندها ، فيشاركهن الحوار ، ويوزع عليهن النظرات الحانية ، ويبتسم لهذه ، ويعلق على رأي تلك ، ويظل كذلك حتى يغلبه النوم ، فينصرفن عنه ، وهذا الفعل منه صلى الله عليه وسلم من شأنه أن يؤلف القلوب ، ويُشْعِر المرأة بأنها ليست قطعة من الأساس في البيت ، فتحدث الجفوة بينهم وتزداد المشاكل ، فإننا نجد الرجل اليوم يترك زوجته ويذهب يجلس ويسمر مع أصدقائه على المقاهي بالساعات ، ولا يذهب إلى البيت إلا على النوم ، هنا تشعر المرأة بأنها ليست إلا وعاء لدي الرجل يفرغ فيه شهوته، وتحمل له أبنائه ليس إلا ، فتزداد المشاكل بينهم وتتعثر الحياة وتصل إلى طريق اللاعودة ، ويحدث ما لا يحمد عقباه ، فيكون الطلاق فتضيع الأسرة ، ويتشرد الأبناء ، لكننا لا نستطيع أن نلقي اللوم أيضا على الرجل ، فقد يكون السبب أيضا من الزوجة ، فربما لم تهيء له الجو المناسب ليحب المكوث في بيته ، بأن ترهقه بمتطلباتها الكثيرة ، أو لا تهيء له المناخ المناسب ليكون بيته سكنا له ، فالرجل عليه أعباء وضغوط نفسية كثيرة في البيت وفي العمل وفي الشارع ، وإن لم يجد ما يحتوي كل تلك الهموم والمتاعب ، فمن المؤكد أنه سيكره حياته بما فيها زوجته.

فنساء النبي صلى الله عليه وسلم كن ينتظرنه على أحر من الجمر، فتتزين كل واحدة منهن له ، لكي لا يرى منها إلا طيب ، فكانت السيدة عائشة ترش شاها بالطيب ثم ترش عليه الماء كي تفوح منه رائحة العطر ، ثم تأتي وتجلس بجواره، فهل لو وجد الرجل عندما يدخل البيت ، هذا الاهتمام من قبل زوجته به ، فلا أظن أنه سيغادر البيت ويذهب إلى مكان آخر.

لقد كان صلى الله عليه وسلم ينظر إلى نسائه ، بعد أن يضاحكهن ويقول لهن : إن أمركن لما يهمني بعدي، ولن يصبر عليكن إلا الصابرون .[1]

وكن أيضا يطلبن منه أشياء ، ولكن كن يتخيرن الوقت المناسب لفعل لذلك، فينتهزن فرصة أن يكون النبي في حالة مزاجية جيدة ويطلبن ما شاءوا ،وفي ذلك تقول السيدة عائشة : لما رأيت رسول الله طيب النفس ، قلت : يا رسول الله ادع الله لي ، فقال : اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ، وما أسرت وما أعلنت " فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، فقال لها رسول الله: أيسرك دعائي ؟ فقالت : ومالي لا يسرني دعاؤك ، فقال صلى الله عليه وسلم: إنه لدعائي لأمتي في كل صلاة .[2]

وعن السيدة عائشة أنها قالت : كان رسول الله إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة عليّ وحفصة ، قالت :فخرجنا معه، وكان رسول الله إذا كان بالليل ، سار مع عائشة فيتحدث معها ، فقالت حفصة لعائشة : ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر؟ قالت : بلى ، فركبت عائشة على بعير حفصة ، وركبت حفصة على بعير عائشة، فجاء رسول الله إلى بعير عائشة وعليه حفصة ، فسلم ثم سار معها حتى نزلوا ، وافتقدته عائشة فغارت ، فلما نزلوا جعلت تجعل رجليها بين الأذخر (نوع من النبات) وتقول يارب سلط علي عقربا أو حية تلدغني رسولك وماذا أصنع معه .[3]

بل كان يحرص صلى الله عليه وسلم أن يصطحب معه زوجته في زيارته، حتى يأنس بها وتأنس به ، فروي أن رجلا من الأنصار كان جارا لرسول الله ، وكان يجيد الطهي ، فصنع للنبي طعاما ثم جاءه يدعوه عليه، فقال : صلى الله عليه وسلم : وهذه

(1)الترمذي :باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، 3749.

(2)السمط الثمين ، ص71.

(3)السمط الثمين ، ص77.ومسلم : باب فضل عائشة ،2445.

– يقصد عائشة– فقال : لا ، ربما لأن الطعام لا يكفي إلا لرسول الله وخاف الرجل أن لا يكفيها فقال ذلك ، فقال له النبي : لا أي لا أذهب معك حتى تذهب هي معي ، فقال الرجل : بلى ، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله .[1]

وجلس يسامر حفصة يوما فقال لها : لا يدخل النار أصحابي الذين بايعوني تحت الشجرة يوم الحديبية، فقالت حفصة : بلى يارسول الله ، فانتهرها فقلت قول الله عز وجل ، وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله " ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا .[2]

وجلس يوما يقص على مسامع عائشة قصة خرافة، فسألها : أتدري ما خرافة ؟ إن خرافة رجلا من أهل عذرة أسرته الجن في الجاهلية ، فمكث فيهم دهرا طويلا ، ثم ردوه إلى الإنس ، فكان يحدث الناس بما رأى من الأعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافة.[3]

وتقول السيدة عائشة أيضا : كان رسول الله يجلس معنا يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه .[4]

وروى البخاري أيضا أنه إذا كان الليل سار مع عائشة يتحدث[5]

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استطاع أن يصنع من بيته جنة يسكن إليها ، فيفسح مجالا لزوجاته في حياته ، ويجعل لهن وقتا يجلس معهن فيه ، يشاركهن أطراف الحديث ويقص عليهن القصص، فيسمح بذلك للمشاعر أن تتدفق وللأحاسيس أن تتدافع ، وللضحكات أن تتعالى فتنبت

(1)السمط الثمين ، ص88.ومسلم ، باب ما يفعله الضيف، 2129.

(2)ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج2 ، ص73.

(3)مسند أحمد: 25283.

(4)الغزالي : إحياء علوم الدين، ج1، ص145.

(5)صحيح البخاري : باب القرعة بين النساء ، 4913.

البهجة والفرحة في جنبات بيته، تلك الفرحة التي كان يراها في ثغر زوجاته الباسم ، حين ترتسم البسمة على شفاههن ، هكذا عشن زوجات النبي حياة سعيدة، رغم ما كانوا يعانونه من فقر وضيق في المعيشة ، إلا أن الحياة كانت مبهجة بجوار زوجهن العزيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد استطاع رسول الله أن يعوض زوجاته عن الجوع وحياة التقشف التي كانوا يعيشونها ، بحياة ملؤها السعادة والسرور ، فالسعادة لا تتأتى بالمال والجاه والسلطان ، إنما تتأتى من الكلم الطيب ، والثغر الباسم ، فليس كل ما تحتاجه المرأة مأكل ومشرب وملبس ، إنما تحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك ، وهو الحب الذي تفتقده كثير من بيوت المسلمين اليوم ، فاليدرك الأزواج ذلك الدرس ، فإن في سنته صلى الله عليه وسلم المفتاح الحقيقي للسعادة في الدارين.

- **احترامه هوايتهن وعدم التقليل من شأنهن**

إن احترام المرأة لذاتها وعدم التقليل من شأنها ، واعتبارها كائن يشعر ،يحب ويكره ، هو ما يجعل المرأة تشعر بنفسها وكنهها ، وتشعر بأنها ذات قيمة في المجتمع، وهذا ما حث عليه صلى الله عليه وسلم، فعن بهز بن حكيم ، عن معاوية بن حيدة، قال : قلت يا رسول الله: نساؤنا ما نأتي منهن وما نذر؟ قال: اءت حرثك أنى شئت ، وأطعمها إذا طعمت واكسها إذا اكتسيت، ولا تقبح الوجه ولا تضرب. [(1)]

وكان صلى الله عليه وسلم يدرك تماما أن للمرأة رأي لابد أن يسمع ، ولذلك وصى بمشورتهن في الأمور ، واحترام رأيهن ، فعندما أمر رسول الله بالتخيير بين أزوجه ، قال لعائشة: إني ذاكر لك أمرا ، فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك ، قالت : وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت : ثم قال : إن الله قال لي " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (29) [(2)]

فقلت له ففي أي شيء أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخـــــرة . [(3)]

ونجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحترم هواية المرأة ، فيأمرهن بالخروج في العيدين لينفسوا عن أنفسهن [(4)]

(1)السلسلة الصحيحة للألباني: ص 341.

(2)الأحزاب : 28-29.

(3)السلسلة الصحيحة للألباني: ص 351.

(4)نفس المصدر : ص 354.

وعندما جاء الحبشة يلعبون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلس رسول الله يشاهدهم وهم يلعبون بالحراب، جاءت السيدة عائشة تريد أن تنظر إليهم ، فلم يمنعها ولم ينهرها على ذلك ، بل احترم هوايتها ، فقام على الباب واقفا ، وتقول السيدة عائشة : فجئته من خلفه فوضعت ذقني على عاتقه ، فأسندت وجهي إلى خده ، فقال رسول الله حسبك – أي اكتفيتي – فقلت لا يا رسول الله لا تعجل ، فقام لي ثم قال : حسبك ، فقلت لا تعجل يا رسول الله قالت : ومالي حب النظر إليهم ، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه . (1)

ودخل أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مغطى بثوبه في ساعة القيلولة ، وفتاتان تضربان بالدف أمام عائشة، فاستنكر ذلك فرفع النبي صلى الله عليه وسلم الغطاء عن وجهه ، وقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد ، ومن ثم يعطي رسول الله لزوجاته مساحة في التفريج عن أنفسهن ، لكي لا يصبح البيت مقبرة لها ليس فيه سوى الكدر والنصب .

لذلك كانت زوجاته يشكرن له صنيعه ذلك معهن ، ويحمدنه عليه ، فتقول السيدة عائشة : كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لي صواحب يلعبن معي ، وكان رسول الله إذا دخل ينقمعن – أي يتركن البيت ويذهبن – خوفا من توبيخ النبي لهن ، إلا أنه كان صلى الله عليه وسلم يأتي بهن إليَّ كي يلعبن معي . (2)

وعندما رجع النبي من غزوة تبوك ، وقد تكبد العناء في الطريق ، ويعلوا وجهه الكريم الغبار من السفر ، فدخل بيته فوجد السيدة عائشة تلعب مع بنات لها ، أي (عرائس كانت تصنعها لتلعب بها) وإذا به صلى الله عليه وسلم ينسى ما

(1)السلسلة الصحيحة للألباني: ص 363.

(2)السمط الثمين : ص71.

به من تعب ، ويشارك زوجته العزيزة مرحها ولعبها ، فيقول : ما هذا يا عائشة ؟ قلت بناتي ، ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع ، فقال: وما هذا الذي أرى وسطهن ؟ قلت فرسا ، قال : وما هذا الذي عليه ؟ قلت : جناحان فضحك حتى بدت نواجذه (1).

هكذا يعلمنا المعلم الأعظم كيفية التعامل مع النساء ، وأنه لابد من الفصل بين هموم الحياة ، وبين البيت الذي هو سكن للإنسان ، فلا نعكر صفوه باختلاق المشاكل من أتفه الأسباب ، فها هو رسول الله يرجع من الحرب منهكا ، فوجد زوجته تلعب ، فلم يزجرها ولم يقلل من شأنها ، بل شاركها لعبها ومازحها ، واستطاع أن يفصل تماما بين هموم الدعوة وهموم المسلمين في الخارج ، وبين حياته مع زوجاته في منزله .

وطلبت منه يوما زوجته الحنونة عائشة أن يكنيها كما يكني زوجاته ، فقال : فاكتني بابنك عبد الله ، يعني ابن أختها ، قال : فكانت تكنى بأم عبد الله نزولا على رغبتها . (2)

وعز على أم سلمة أن لا تكون من أهل بيت رسول الله ، فبكت عندما دخلت عليها السيدة فاطمة وابنيها الحسن والحسين ، فقال لهم رسول الله:رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت وضمهم إلى صدره ، فلما رآها رسول الله تبكي ، فسألها في حنو وهو يمسح ويكفكف دمعها ، ما يبكيكي يا أم سلمة ؟ فقالت : خصصتهم وتركتني وابنتي ، قال : إنك وابنتك من أهل البيت . (3)

ومن صور نزوله صلى الله عليه وسلم على رغبة نسائه ، ما رواه مسلم عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال : أقبلنا مهلين بالحج ، وأقبلت السيدة عائشة

(1)الحلبي : السيرة النبوية ، ج2 ، ص 161.

(2)سنن أبي داوود : 4970.

(3)السمط الثمين : ص20.

مهلة بالعمرة ، حتى إذا كنا بسرف عوكت عائشة ، فدخل عليها رسول الله ، فوجدها تبكي ، فقال : ما يبكيك؟ قالت : شأني أني قد حضت ، قال : إن هذا شيء كتبه الله على بنات آدم ، فاغتسلي ثم أهلي بالحج ، ففعلت ووقفت المواقف كلها حتى إذا طهرت طافت بالكعبة وبالصفا والمروة ، ثم قال : قد حللت من حجك وعمرتك جميعها ، فقالت : يا رسول الله إني لأجد في نفسي أني لم أطف بالبيت حتى حججت ، وكان رسول الله رجلا سهلا ، إذا هويت الشيء تابعها عليه ، فأرسلها مع عبد الرحمن بن أبي بكر ، فأهلت بعمرة من التنعيم . (1)

وحدث أن استأذنت زوجته سودة بنت زمعة ، ليلة المزدلفة أن تدفع قبله وقبل حطمة الناس ، - أي زحمتهم - وكانت امرأة ثبطة أي ثقيلة ، فأذن لها رسول الله فخرجت قبل دفع الناس . مما سبق يتضح أن رسول الله كان شديد الإحترام لزوجاته ، يحنو عليهن ، ويقدرهن ويحترم هوايتهن ، وينزل في بعض الأحيان على رغبتهن وأهوائهن ،الأمر الذي نفتقده كثيرا اليوم في بيوتنا، فتجدر الإشارة إلى أن أغلب حالات الطلاق في بيوت المسلمين اليوم ، تعود في المقام الأول إلى عدم احترام كل طرف للآخر ، وعدم وعي بالدين وبسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(1) صحيح مسلم :2998 . والسمط الثمين ، ص76.

• إضفائه روح المرح على الأسرة

دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم على إضفاء روح المرح في جو الأسرة ،لكي تشيع الألفة والمحبة بين نسائه ، في الوقت الذي غابت تلك المعاني عن بيوتنا ، فعم الحزن والكدر بيوت المسلمين ، لغياب روح المرح بين أفراد الأسرة ، فالزوج يأتي منهكا من العمل ، لا يطيق أن يتفوه أحد معه بكلمة ، وإن حدث وكلمته الزوجة في أمر من أمور الأبناء أو المعيشة ، تقوم الدنيا وتقعد ويقبح الوجه ويسب ويشتم، ثم يترك البيت يطلب الراحة في مكان آخر ، مع أصدقائه أو رفقاء السوء الذين يجالسهم ، ثم تجد الزوجة متنفسا لها في مشاهدة التليفزيون ، والجلوس أمام الانترنت ، والبحث عن المتعة الحرام التي حُرمت منها في بيتها مع زوجها ، إن المتأمل في حياة رسول الله ، ليجد أنه كان أكثر الناس هما ، وأكثرهم شغلا ، غير أنه لم يشغله ذلك عن أهله ، وعن التلطف معهن ومداعبتهن والمزاح معهن ، فقد كان يدللهن بأحب الأسماء إليهن ، فكان يدلل عائشة ويقول لها يا عائش ، ففي الحديث عن يونس عن ابن شهاب قال أبو سلمة : إن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما (يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام) . فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى . تريد رسول الله صلى الله عليه و سلم . (1)

وعن عروة بن الزبير قال : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : أهدت أم سنبلة لرسول الله صلى الله عليه و سلم لبنا ، فدخلت علي به فلم تجده فقلت لها: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم نهانا أن نأكل طعام الأعراب ،فدخل رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر فقال : يا أم سنبلة ما هذا الذي معك ؟ فقالت : يا رسول الله لبن أهديته لك قال : اسكبي يا أم سنبلة ، فناول أبا بكر ثم قال : اسكبي يا أم سنبلة فتناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ، قالت : فقلت : يا بردها على الكبد ، قالت عائشة : يا رسول الله حدثتنا أنك نهيت عن

(1)صحيح البخاري : باب فضل عائشة رضي الله عنها ، 3557.

طعام الأعراب فقال : يا عائش إنهم ليسوا بأعراب هم أهل باديتنا و نحن أهل حاضرتهم ،وإذا دعوا أجابوا فليسوا بأعراب[1]

وكان يقول لها أيضا يا حميراء وهي تصغير حمراء أي البيضاء ، فعندما أتى فتيان الحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ، قال لها النبي : يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم ، فقالت : نعم ، فقام صلى الله عليه وسلم على الباب فجاءت فوضعت ذقنها على عاتقه وأسندت وجهها على خده . [2]

فالمرأة تشعر بسعادة بالغة بالقرب من زوجها ، لاسيا إذا تألفها بعطفه وحنانه، فكان صلى الله عليه وسلم عندما يدخل البيت ،ينسى كل الهموم والأشغال التي على عاتقه ، ويتهيء لنسائه ولمقابلتهن مقابلة طيبة ، فتقول السيدة عائشة : كان إذا صلى العصر دخل على نسائه واحدة واحدة ، وكان يختم بي ، وكان إذا دخل علي وضع ركبته على فخذي ، ويديه على عاتقي ثم أكب فأحنى علي . [3]

إن رسول الله يضرب لنا المثل الأعلى في كل شيء ، فها هو يجالس نسائه ويتلطف معهن وكأنه لا يزال متزوجا حديثا ، يصنع كما يصنع الزوجين الجديدين في أول شهور زواجهما ، إلا أن العلاقة بين الزوجين وهذا الحب قد يفتر شيئا فشيئا مع مرور الزمن ، لكننا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحب زوجاته ويمازحهن ،كما لو كان في شهور الزواج الأولى .

روي أنه كان يجلس يوما مع السيدة سودة بنت زمعة ، تلك السيدة العجوز البدينة خفيفة الظل ، فأتت السيدة عائشة بحريرة طبختها ، فلما وضعت الطعام بين أيدهما، جلست السيدة عائشة عن يمينه ، وكانت السيدة سودة عن شماله ، وقد وضع

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب الأطعمة ، 7168.

(2)السلسلة الصحيحة للألباني: ص363.

(3)المحب الطبري : مناقب أمهات المؤمنين ، ص63.

صلى الله عليه وسلم ركبتيه على فخذيها ، فلما رأت السيدة عائشة أن السيدة سودة لا تأكل ، فقالت لها : كلي ، فأبت ثم قالت لها كلي وإلا لطخت وجهك بها ، فضحك رسول الله ، فلما أبت أن تأكل وضعت السيدة عائشة يدها في الطعام ، ولطخت به وجه سودة ، فضحك النبي أكثر ، ثم قال لسودة : لطخي بها وجهها ؟ فلطخت بها وجه عائشة والنبي يضحك لصنيعها . [1]

هذه الصور التي نراها على شاشات التلفاز في الأفلام والمسلسلات ، ونعجب بها رغم أنها زائفة ، نجدها تتجسد حقيقة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا البيت الذي يظن كثيرا من الناس ، أنه كان لا يعرف الضحك ولا يعرف إلا حياة التقشف ، ولا يعرف إلا هموم الدعوة ومشاكل المسلمين ، لقد صورت كتب السيرة المختلفة حياة النبي بالجمود ، وكأنه ليس يشغله سوى الحرب والجهاد، ونسوا أو تناسوا هذا الجانب المشرق في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي لا يقل أهمية عن جوانب كثيرة عالجتها كتب السيرة النبوية ، إن لم يكن أهمها على الإطلاق .

وكان صلى الله عليه وسلم يغتسل مع نسائه في إناء واحد ، فيرش الماء على زوجته، وتصنع هي الأخرى معه كذلك ، ويتسابقون على الماء أيهما يأخذ ويدع ،فعَنْ مُعَاذَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– مِنْ إِنَاءٍ – بَيْنِى وَبَيْنَهُ – وَاحِدٍ فَيُبَادِرُنِى حَتَّى أَقُولَ دَعْ لِى دَعْ لِى. قَالَتْ وَهُمَا جُنُبَانِ(2).

بل كان نسائه يتسابقن في إضفاء المرح على رسول الله ، بالكلام الجميل تارة ، ومداعبته تارة أخرى ، فسودة بنت زمعة كان يسعدها أن تراه يضحك على مشيتها، لأنها كانت ثقيلة ، فكان النبي يضحك عليها ويداعبها ، لذلك فكانت تتعمد أن تقوم وتمشي أمامه ،لعلها ترسم البسمة على شفاهه الكريم ، ونسائه يضحكن عليها ، وتقول

(1)نفس المصدر ، ص80.

(2)المصدر السابق : ص89. وصحيح مسلم : باب القدر المستحب من الماء في الغسل ، 758.

له يارسول : صليت خلفك الليلة دون أن تدري فركعت بي فأمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم ، فضحك رسول الله من قولها وضحك نسائه عليها . [1]

ولعلنا نتساءل لما لا نجعل بيوتنا على هذا الحال ، لما لا نطرح هموم العمل والمصنع والشركة والمال والشارع والدراسة ، خلف أظهرنا عندما ندخل بيوتنا ، لما لا نحول بيوتنا إلى جنة بدلا من الجحيم الذي نعيش فيه ، إن كثرة الأمراض النفسية التي يصاب بها الناس الآن ، تعود في المقام الأول إلى الضغوط النفسية التي يضع كل واحد منا فيها نفسه ، فهمه منصب على جمع المال والجاه والسلطان ، وإن توفر له ذلك كله لا تجده سعيدا ، إن المال لا يصنع السعادة ، بل البساطة والقناعة والعيش الهنيء الرضي ، فرسول الله وزوجاته كان في أغلب الأحيان يطويهم الليل وهم يتألمون من الجوع والحرمان ، إلا أنه كان دائما شعلة متقدة من الحب والسعادة ، لم تطفئ إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . إن السعادة هي التي نصنعها بأيدينا ، فنستطيع أن نقنع أنفسنا بما لدينا من متاع الدنيا، بأننا أغنى ممن على الأرض جميعا ، نستطيع أن نقنع أنفسنا بأن المكان البسيط الذي نعيش فيه مع ضيقه ، أن يكون قصرا نبنيه بالحب والرضا بما قسمه الله لنا ، فرسول الله لم يكن يملك من حطام الدنيا شيء يسعد به زوجاته ، بل كان يملك ابتسامة تذهب عقولهن عندما ترتسم على وجهه البهي ، وكان يملك سحرا في الكلام منقطع النظير ، فبكلمة من كلمات الحب والدلال يستطيع أن يأسر قلوب زوجاته ، ويجعلها ملكة متوجة على عرش بيتها الضيق الخالي من كل أنواع الرفاهية ، إلا أن هذه الكلمة عند المرأة خير لها من كنوز الدنيا ، لنتعلم من سيد البشرية كيف استطاع بما لديه من مقدرات أن يبني بيتا سعيدا قل أن تجده على مر العصور والأزمان، وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها .

(1)عائشة عبد الهادي: تراجم سيدات بيت النبوة ، ص95.

• اعترافه صلى الله عليه وسلم بمشاعره نحوهن

كان صلى الله عليه وسلم لا يخفي مشاعره الصادقة تجاه زوجاته ، فقد كان يواسيها في مرضها ، ويكفكف دموعها ويقدر مشاعرها ولا يهزء بكلماتها وحديثها ، ويسمع شكواها ، ويخفف عنها أحزانها ويتنزه معها ويحترم هوايتها ولا يكبت مشاعرها وانفعالاتها .

ونجده صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي تتخافت فيه الألسنة عند ذكر اسم الرجل لزوجته ، نجده صلى الله عليه وسلم يصرح باسم زوجته أمام الناس جميعا بل يعلن على الملأ حبه لها ، ولماذا يخفي ما احله الله له فعندما سأله عمرو بن العاص أي الناس أحب إليك يا رسول الله ؟ قال : عائشة ، قال : ومن الرجال ؟ قال أبوها .وعندما سئل عن سبب وفائه للسيدة خديجة ، قال إني رزقت حبها .

فالحب كلمة عظيمة والأعظم منها عدم اخفائها عن من تحب ، والرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بعدم كبت المشاعر ، وأنه لابد من التصريح بها ،عَنْ أَنَسٍ قَالَ مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ جَالِسٌ فَقَالَ الرَّجُلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا فِي اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ قَالَ لَا قَالَ قُمْ فَأَخْبِرْهُ تَثْبُتْ الْمَوَدَّةُ بَيْنَكُمَا فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ أَنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ أَوْ قَالَ أُحِبُّكَ لِلَّهِ فَقَالَ الرَّجُلُ أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي فِيهِ. (1)

فإذا كان هذا مع غريب لا تعرفه ، فمن باب أولى أن لا تخفي مشاعرك تجاه من يعيش معك ، يتألم لألمك ويسعد لسعادتك ، إن رسول الله استطاع أن يعوض الحرمان المادي الذي كانت تعيشه زوجاته ، بكلماته الرومانسية التي تلهب مشاعر زوجاته ، فتأسر قلوبهم فتنسيهم ألم الجوع ومرارة المعيشة وضيقها ، فقد جلس يوما يقص عليهن قصة أبي زرع وأم زرع ، وهي قصة في الوفاء بين الزوجين ، وإذا به ينظر إلي محبوبته عائشة ويقول لها : كنت لك كأبي زرع لأم زرع (أي في الوفاء) وإذا بها تغمرها

(1) مسند أحمد: 13535 .

السعادة ، وتنسى الدنيا وما فيها فتقول له : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، لأنت خير لي من أبي زرع لأم زرع .

فهاذا أضار الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه هذا ، هل أنقص من قيمته ، هل أسقط حق من حقوقه عليهن ، بل زاد عشقهن له ، وضرب بذلك أروع المثل في الزوج المثالي الذي استطاع أن يحافظ على بيته وأن يسعد زوجاته ، ليس بالمال ولا السلطان ولكن بالحب والكلم الطيب .

تقديره صلى الله عليه وسلم واحترامه لهن

جاء الإسلام ورفع من قيمة المرأة ، وجعل لها شأنا في المجتمع ، بعد ما كانت كالمتاع تباع وتشترى وتورث ، وليس لها أية حقوق ، وحث رسول الله أيضا على احترام المرأة في كافة المحافل ، ولا سيما احترام الرجل لزوجته وتقديره لها ، فالاحترام المتبادل بين الزوجين يضفي على الأسرة روح المرح والسعادة ، فكل منهم يقدر الآخر ويحترمه ، ويعمل حسابا لمشاعره .

لذا كان رسول الله يقدر زوجاته ،ويأمر الرجل بالرفق بزوجته واحترام مشاعرها وعدم الحط من شأنها ، فكان صلى الله عليه وسلم يمتدح نسائه إذا ما أتوا بشيء ممدوح ، فيقول عن عائشة أن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام(1)

وفي نفس الوقت الذي تجد فيه الرجل الآن يعامل زوجته كأمة عنده ، فتجده يسير في الطريق ولا يمشي بجوارها ، إنما يسبقها وهي تمشي خلفه في صورة مشينة لم يفعلها رسول الله قط ، فقد روي أن السيدة صفية بنت حيي بن أخطب زوجة رسول الله ، أتته في حاجة وهو معتكف في العشر الأواخر من رمضان ، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت لتنصرف ، فقام رسول الله معها حتى إذا بلغت المسجد عند باب أم سلمة .وذلك في الحديث الذي رواه البخاري وذكره البيهقي في السنن أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم– أَخْبَرَتْهُ : أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِى الْمَسْجِدِ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ ، ثُمَّ قَامَتْ لِتَنْقَلِبَ فَقَامَ مَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَرِيبًا مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ –صلى الله عليه وسلم– مَرَّ بِهِ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– ثُمَّ نَفَذَا فَقَالَ لَهُمَا رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– :« عَلَى

(1) سنن الترمذي: باب فضل الثريد، 1834، وسنن النسائي الكبرى ، باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض ، 8896.

رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ ». قَالاَ : سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم- :« إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عُفَيْرٍ (1) فمن أدبه صلى الله عليه وسلم لم يتركها ، بل صار معها يحدثها ويأنس بها ويفخر بالمشي معها ، لأنها زوجته التي يحبها ويقدرها.

وكان صلى الله عليه وسلم يجزل العطاء لنسائه ، ويأمرهن بعدم البوح بذلك حفاظا على مشاعرهن ،وحتى تتوهم كل منهن بأنها الوحيدة التي أجزل لها العطاء، دون نسائه وفي ذلك حنكة منه صلى الله عليه وسلم لكسب ود زوجاته، فروي أنه كان يدخل عليهن الواحدة تلو الأخرى ، ويعطي كل واحدة منهن درهما ويقول لها: لا تخبري به أخواتك ، فإن ما أعطيتك لم أعطهن – يعني الدرهم الذي أعطاها ما أعطاه لغيرها – طلبا لمرضاتهن . (2)

ومن صور تقديره صلى الله عليه وسلم لزوجاته أنه كان يحترم ويقدر أكبرهن سنا ، فكان إذا دخل بيته بدأ بأكبر نسائه سنا ، وهي السيدة أم سلمة ويختم نسائه بأصغرهن سنا وهي السيدة عائشة (3).

وحدث يوما أن وصلت إلى رسول الله هدية من النجاشي ، وهي عبارة عن حلة وأواقي مسك ، فقال رسول الله لأم سلمة : إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأواقي مسكا ،وإني لا أراه إلا قد مات ، وما أرى الهدية التي أهديت إليه إلا سترد لي، فإن ردت علي فهي لك ، قالت : فكان كما قال رسول الله ، مات النجاشي وردت عليه

(1) السنن الكبرى للبيهقي : باب المعتكف يخرج إلى باب المسجد، 8860.

(2)المحب الطبري : تراجم أمهات المؤمنين ،ص18.

(3)نفس المصدر ،ص76.

الهدية ، فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية أوقية، وأعطى أم سلمة بقية المسك والحلة . (1)

ومن نبل أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، أنه ظل يعتذر من السيدة صفية بنت حيي ابن أخطب على أن قتل زوجها وأبيها فكان يقول لها : إن أباك قد ألب علي العرب وفعل وفعل ، حتى ذهب ذلك من نفسها . (2)

وكان يمتدح نسائه بسبب برهن ونفقتهن على الفقراء والمساكين ويقدر لهن ذلك ، فقال لهن يوما: أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا ، فكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعن في بيت واحدة منهن بعد وفاته ، يمددن أيديهن في الجدار يتطاولن ينظرن أيتهن أطول يدا ، ولم يعرفوا مقصده من كلامه إلا بعد موت السيدة زينب بنت جحش ، وكانت أكثرهن انفاقا على المساكين ، فعلم نسائه أنه كان يقصد بطول اليد ، الإنفاق في سبيل الله. (3)

(1)المحب الطبري : تراجم أمهات المؤمنين ،ص144.

(2)نفس المصدر ،ص206.

(3)الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 2/ 217.

استشارتهن في الأمور

كان من دأب النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يجالس نسائه ، ويحدثهن في أمور المسلمين وأمور الدعوة ، ولا يخفي عنهن شيئا ويستشيرهن في بعض الأمور ، على الرغم من أنه لم يكن في حاجة إلى رأيهن ، فقد كان صلى الله عليه وسلم مدعما بالوحي من قبل السماء ، ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يعلم أمته أهمية مشاركة المرأة في القرار ، وضرورة استشارتهن في بعض الأمور [1].

فعن عدي بن عدي الكندي عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا على النساء في أنفسهن ، فقال: إن البكر تستحي يا رسول الله ؟ قال : الثيب تعرب عن نفسها بلسانها والبكر رضاها صماتها . [2] ، وذلك احتراما لإرادة المرأة ورفعا لمكانتها في المجتمع ، فهي ليست سلعة تباع وتشترى ، ويزج بها في زيجات تغلب عليها المصلحة في المقام الأول وتكون رغما عنها ، فقد حث رسول الله على استشارة المرأة في أصعب قرارات حياتها .

واستشار رسول الله زوجته أم سلمة في عمرة الحديبية ، فعندما صدت قريش رسول الله عن زيارة البيت ، وكتبوا فيما بينهم صلحا على أن يعودوا من عامهم هذا، على أن يدخلوا مكة العام القادم ، ضاق المسلمون ذرعا مما حدث ، وكاد يقتل بعضهم بعضا من الهم ، فدعا رسول الله الناس إلى أن يحلقوا وينحروا الهدي، فلم يقم واحد منهم ، وفي الحقيقة إن عدم استجابة الناس لرسول الله ، ليس عن معصية لأوامره ، إلا أنهم تباطئوا لعل الله ينزل عليه قرآنا يأمرهم بخلاف ذلك ، فدخل رسول الله على أم سلمة وهو مغتما ، فذكر لها ما كان من الناس ، فقالت : يا نبي الله أتحب ذلك : قال : بلى ، قالت أخرج ولا تكلم أحدا حتى تنحر بدنك وتدعوا حالقك فيحلق لك ، ففعل

(1) محمد فتح الله كانون ، النور الخالد، ص292.

(2) السلسلة الصحيحة للألباني: ص343.

ذلك ، فلما رأوا ذلك قاموا ونحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا . (1)

لذلك يجب علينا أن نعلي من قيمة المرأة في المجتمع ، لأنهن شقائق الرجال ، فكم من مرأة تزن بعقلها مئات الرجال ، وكم من مرأة تبلغ بعبادتها وتقواها لربها مبلغ الصالحين والمقربين ، إلا أننا لم نصل بعد إلى هذا المستوى من التربية التي علمها لنا رسول الله ، فلا نستطيع حتى الآن أن نفتح مغاليق هذا الباب السري ، بل لم نصل بعد إلى الطرق على هذا الباب ، بل لا تزال المرأة حتى لدي الذين يدعون الدفاع عن حقها إنسان من الدرجة الثانية ، بينما نحن ننظر إليها باعتبارها نصف الوحدة الواحدة ، فهي النصف الذي لا ينفع النصف الآخر بدونه ،فمن اجتماع النصفين يتم تشكيل الوحدة الإنسانية الواحدة ، وعند غياب هذه الوحدة الواحدة لا يمكن الحديث عن وجود أي شيء ، لا الإنسانية ولا الأنبياء ولا الأصفياء ولا الإسلام ولا الأمة . (2)

(1)المحب الطبري : تراجم أمهات المؤمنين ،ص146.

(2)النور الخالد : ص292.

تعليمه صلى الله عليه وسلم لهن

حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تثقيف زوجاته وتعليمهن أصول دينهم، ولما لا وهو المعلم الأول معلم البشرية جمعاء ، ألا يكون لزوجاته قصب السبق في ذلك ، فقد كان صلى الله عليه وسلم دائم التوجيه لهن ، ولا يتوانى في الإجابة على أي تسائل يحير عقولهن ، لاسيما السيدة عائشة التي كانت كثيرا ما تسأله عن كثير من المسائل ، فكانت لا يهدء لها بال حتى تشبع رغبتها من التزود من علمه صلى الله عليه وسلم ، لذلك كانت أكثر نسائه رواية للحديث عن رسول الله .

وكان صلى الله عليه وسلم بدوره يحب ذلك فيها ، فسمعت ذات مرة رسول الله وهو يقول : من حُوسِبَ عُذِّبَ ، فقالت: إن الله تعالى قال : فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، فقال لها رسول الله : إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب هلك . (1)

وسمعته يوما يقول : يحشر الناس يوم القيامة عراة ، فحارت في ذلك الأمر كيف يقف النساء مع الرجال وهن على هذه الحالة ، فقالت وهي مستاءة من ذلك الأمر : وهل ينظر الرجال والنساء بعضهم إلى بعض؟ فقال رسول الله : الأمر أشد من أن يهمهم ذاك . (2)

وسألته يوما هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ فقال يا عائشة : أما عند ثلاث فلا ، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف ، وأما عند تطاير الكتب فإما يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا ، وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم ويتغيظ عليهم (3).

وقالت له يا رسول الله هل يثاب الكافر والمشرك في الدنيا إذا عمل عملا صالحا أم لا ؟ وذكرت عبد الله بن جدعان من مشركي مكة ، وقد كان رجلا فاضلا خيرا ، رفيقا بالناس وقد أنشأ مجلسا للتصالح ، وحلف الفضول الذي شهده رسول الله

(1)صحيح البخاري : كتاب العلم / 103، وصحيح مسلم :2876.

(2)صحيح البخاري : كتاب الرقاق / 6527.

(3)مسند أحمد : 24837.

كان هو الذي دعا إليه .فقالت يا رسول الله : إنه كان وكان يصل الرحم ويطعم المساكين ، ويحسن الجوار ويقري الضيف فهل ذلك نافعه ؟ قال :لا . يا عائشة : إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين . (1) ، وعز عليها أن يذهب الرجال بفضل وجزاء الجهاد ولا يكون للمرأة نصيب منه ، فقالت يا رسول الله: هل للمرأة من جهاد ؟ فقال : جهادها الحج . (2)

وسألته يوما عن فضل الجار وحقه ، لا سيما أقرب الجيران إليها وألصقهم دارا ، فقالت : إن لي جارين فإلى أيهما أهدي ؟ قال : إلى أقربهما منك بابا . (3)

وجلست يوما تتدبر آيات القرآن وتمررها على عقلها وتحاول استخراج المواعظ والعبر منها ، ذلك القرآن الذي هجره كثير من الناس الآن ، فلا يكاد المرء يتناوله لينظر فيه مرة كل شهر ، إنما قد يمر عليه العام ولا يمسك بالمصحف إلا في شهر رمضان، فجلست يوما تتدبر معانيه وآياته فاستوقفتها آية أشكلت عليها أن تفهمها ، فسألت رسول الله عنها ، فقالت له : يا رسول الله يقول الله عز وجل " {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}(4) هل هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله ؟ قال : لا يا بنت أبي بكر ، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله .(5)

ودخل يوما على رسول الله رهط من اليهود فسلم أحدهم على رسول الله وقال : السام عليك_ أي الموت والهلاك لك _ فقال النبي وعليكم ،وكانت عائشة تسمع ذلك ، فقالت : وعليكم السام واللعنة ، فقال لها رسول الله معلما إياها ضرورة

(1)صحيح مسلم : كتاب الإيمان / 214، ومسند أحمد: 24665.

(2)صحيح البخاري : باب حجة النساء ، 1861.

(3)صحيح البخاري : كتاب الشفاعة ، 2259.

(4)المؤمنون :59-60 .

(5)سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن ، 3175.

احترام الضيف حتى ولو كان على غير دينك ، وأنه لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعانا يفعل كما يفعل من هم على غير ملة المسلمين ، فنصحها بأن لا تفعل ذلك مرة أخرى فقال لها : مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله. (1)

وكانت تسير معه في سفر من الأسفار فلعنت جملا لها ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم برده ، قائلا : لا يصحبني شيء ملعون ، فكان في ذلك تعليما لها أن لا تصنع ذلك مرة أخرى ، وكذلك تعليما منه صلى الله عليه وسلم لجميع الأمة أن لا يلعن أحد أحدا حتى ولو كان حيوانا . (2)

وحدث أن أشارت يوما بيدها تقصد المعيب على أحد زوجاته بأنها قصيرة ، وهي السيدة صفية ، فقال لها النبي : يأدبها لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لتعكر صفو الماء كله . (3)

فهو هنا يعاتبها صلى الله عليه وسلم على إشارة بيدها ، تسيء بها لزوجته صفيه ، أما لو مزج حديثنا اليوم بماء البحر لسار أسودا ، بما يتلفظ به الناس من كلمات نابية، تسيء للأعراض وتجرح المشاعر .

وكان رسول الله أيضا يحرص على أن تعبد زوجاته الله على علم وبينة ، فقد دخل يوما على زوجته جويرية بنت الحارث ،وكان يوم جمعة فوجدها صائمة ، فقال لها : أصمتي أمس ؟ فقالت لا ، فقال : وتريدين أن تصومي غدا ؟ فقالت :لا ، قال : إذًا أفطري ، وذلك لأنه يوم جمعة وهو يوم عيد للمسلمين ولا يجوز صيامه منفردا في غير فريضة .

وكان رسول الله يعلم السيدة عائشة ويحذرها من محقرات الذنوب فإنها تهلك العبد، فعن عامر بن عبد الله بن الزبير عن عوف بن الحارث عن عائشة قالت: قال لي

(1)صحيح البخاري : كتاب الأدب ،6024.

(2)مسند أحمد : 24478.

(3) سنن الترمذي : 2502. وسنن أبي داوود ، كتاب الأدب ، 4875.

رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا عائش إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا[1]

إذا من خلال ما سبق نستشف من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه كان حريصا كل الحرص على تعليم وتثقيف زوجاته ، لأنه كلما كانت المرأة مثقفة متعلمة لديها معرفة بتعاليم دينها ، بالتالي سينعكس ذلك إيجابا على الأسرة ، سواء على الأولاد أو الزوج نفسه ، فسيجد الزوج رقي منها في التعامل معه ومع الأبناء ، ومع الأقارب والجيران ، ناهيك عن الثواب الجزيل من الله عز وجل الذي سيعود على الزوج.

(1) سنن الدارمي : باب في المحقرات : 2726.

خاتمة

عظيمة هي حياة خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، فرغم نجاحاته الكبيرة في شتى المجالات ، السياسية والدعوية والحربية ، إلا أنه أعطى للبشرية مثالا يحتذى به كرب أسرة ، وزوج مثالي ترنو إليه جميع الأبصار والأفئدة .

إن ماحققه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته من توازن عجيب في العلاقات بينه وبين زوجاته ، ليجعلنا نقف نرمقه بأعيننا في دهشة كبيرة ، ونتسائل قائلين : كيف استطاع صلى الله عليه وسلم أن يوفق بين هموم المسلمين التي أثقلت كاهله، وبين بيته الذي استطاع رغم كل تلك المشاغل أن يكون أسعد بيت عرفته الدنيا، فبيته كان يحوي بين جنباته العديد من الزوجات كلهن في شوق إلى زوجهن الحبيب ، فاستطاع رسول الله بطرائق مبدعة أن يحدث التناغم بينهن .

فالسعادة التي كانت ترفرف على بيت النبي ، والبهجة التي كانت تطل من جنباته ، رغم ما كانوا يعانونه من ضيق في العيش ، ليجعلنا نقف برهة أمام هذا الأمر ، نفكر ونتدبر ، فما صنعه رسول الله خالف كل ما نؤمن به اليوم من أن السعادة تتمثل في الغنى وجمع المال ، فها هو رسول الله يعيش حياة صعبة ، وكانت تمر عليهم أياما ولا يجدون ما يقتاتون به ، إلا أن السعادة كانت تغمر بيته حتى إن الذي يرمقهم ببصره ليظن أنهم كانوا يملكون الدنيا كلها .

لقد استطاع رسول الله بكلامه الطيب ، ورقته في التعامل مع نسائه ، ولين جانبه لهن ، أن يأسر قلوبهن بما كان يملكه من ملكات هائلة ، من حسن الحوار وقوة الإقناع وعذوبة المنطق ، فكل واحدة من نسائه كانت لا تريد من الدنيا إلا رضاه الذي هو من رضى الله عليها .

إلا أننا لا ننكر مطلقا أن ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدله واحترامه وتقديره وحبه لنسائه ، كل ذلك كان عاملا من عوامل سعادتهن ، فالأمر الذي لا مراء فيه ، أن هذه العائلة كانت أفضل وأسعد العائلات في تاريخ البشرية ،فنساء النبي كن لا يبادلن الساعة الواحدة بجوار رسول الله بالدنيا كلها ، لقد كان هناك سببا جوهريا في سعادة زوجات النبي بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو

مراعاة رسول الله لهن ، ومراقبة الله فيهن ، وإعطائهن كافة الحقوق الشرعية دون ضيم أو نقصان ، كل ذلك أحدث في قلوبهن هذا الولع وهذا الشغف المنقطع النظير لنظرة رضى واحدة من رسول الله ، فقد تجوع البطون ولا تنام العيون من ألم الجوع ، إلا أن ذلك كله لا يساوي شيء بجوار بسمة واحدة من رسول الله ، تزيل عنهن الهم وتنسيهن الألم والحرمان .

لقد أعطى رسول الله لزوجاته ما لم يعطهن أحد قبله ولا بعده، فلم يكن صلى الله عليه وسلم يسلم على إحداهن حتى يسلم على الأخريات ، ولم يكن يعطي واحدة حتى يعطي الأخريات ، ولم يكن يقبل واحدة حتى يقبل الأخريات ، مثال يحتذى به في العدل والمساواة ، لذلك كانت تحسب كل واحدة منهن أنها الوحيدة التي تستحوذ على فؤاده ، وأن لها مكانة خاصة في قلبه .وهذا ينبع في المقام الأول من حنكته في التعامل معهن ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف كنه المرأة ويعرف دوافعها وأحاسيسها ، لذلك تعامل مع كل واحدة بالطريقة التي تناسبها وتناسب شخصيتها ، هذه الطريقة المبتكرة في فن التعامل والتي تدرس الآن في الجامعات في التنمية البشرية عن فن التعامل مع الناس ، تعلمها الجميع من المعلم الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لذلك عندما رحل رسول الله عنهن أحدث بفراقه جرحا كبيرا لا يندمل ، وشرخا عظيما في وجدانهن ، ولولا أن الإسلام حرم الإنتحار لربما أقدمن عليه، لقد أصبحت الدنيا بعد فراقه خراب من كل شيء ودار حزن وابتلاء ، بعدما كانت داره صلى الله عليه وسلم تشهد كل يوم جلسات السمر والأنس مع زوجاته وتتعالى الضحكات منهن ، وترتسم البسمة على الشفاه ، وتتدافع المشاعر ، ويجري نهر الحب في مساره الصحيح ، كل تلك الصور الجميلة التي رأينها في بيت رسول الله ، طمست معالمها ، حتى أنك لتجد جدر بيته قد تشققت شوقا إليه صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يروي بحبه وعطفه كل شيء من حوله.

فقدن زوجات النبي رسول الله نهر الحب والحنان ، فقدن السراج الذي كان ينير لهن الطريق إذا ما أغشى الليل بظلمته ضوء النهار الجلي ، فقدن السراج الذي كان يدفئ مشاعرهن بالحب والحنان عندما تقسوا عليهن الشتاء ببردها القارس .

فحري بنا نحن المسلمون اليوم ، ونحن نعيش في عصر كثرت فيه المشاكل في بيوتنا، وانطفأت فيه شموع المودة والمحبة ، فتجده مقفرا من كل شيء سوى الحزن والكدر ، أن نعود عود حميدا إلى سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم لنروي بها بيوتنا التي أقفرت من مشاعر الحب والود

الراجي لعفو الله الفقير إلى رحمته

د/ محمد كمال كامل محمد

الفهرس